أبو الأعلى المودودي

«لو جلست فمن سيبقى واقفاً؟!».

(١٣٢١هـ/١٩٠٣م - ١٣٩٩هـ

/١٩٧٩م)

د. خالد النجار

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

بسم الله الرحمن الرحيم

يعد أبو الأعلى المودودي نموذجًا فريدًا للداعية الإسلامي المجتهد الذي أوقف حياته على الدعوة إلى الإسلام، وجعل رسالته في الحياة إعلاءَ كلمة الحق، والتمكين للإسلام في قلوب أتباعه قبل ربوعه وأوطانه. وكان لإخلاصه في دعوته واجتهاده في رسالته أكبر الأثر في التفاف الكثيرين حوله، وانضوائهم تحت لواء فكره الذي تخطى حدود القومية ونطاق المكان؛ ليصبح راعيا عالميًا للإسلام في كل مكان، بل إن أعماله ومؤلفاته قد انطلقت لتتخطى حدود المكان وتتجاوز إسار اللغة، فترجمت إلى معظم لغات العالم؛ لتظل ينبوعًا متجددًا لعطائه الفكري والدعوي الذي تجاوز مرحلة الدعوة باللسان والتنظير الفكري إلى مجال التطبيق العملي للتشريع الإسلامي حكمًا وقيادة ومعاملات.

المولد والنشأة

ينتمي أبو الأعلى المودودي إلى أسرة تمتد جذورها إلى شبه جزيرة العرب، فقد هاجرت أسرته منذ أكثر من ألف عام إلى «جشت» بالقرب من مدينة «هراة»، ثم رحل جده الأكبر «ضواجه مودود» إلى الهند في أواخر القرن التاسع الهجري.

وكان أبوه سيد أحمد حسن مودود الذي ولد في دلهي بالهند سنة (١٢٦٦ هـ =١٨٥٠م) واحدًا من طلاب جامعة عليكرة، وقد عمل مدرسًا، ثم عمل بالمحاماة، وفي (٣ من رجب ١٣٢١ هـ = ٢٥ من سبتمبر ١٩٠٣م) رزق بابنه «أبو الأعلى المودودي»، وبعد ذلك بنحو عام اعتزل الأب الناس، ومال إلى الزهد، فنشأ أبو الأعلى في ذلك الجو الروحاني، وتفتحت عيناه على تلك الحياة التي تفيض بالزهد والورع والتقوى.

ولد المودودي بمدينة «أورنك أباد» في ولاية حيدر أباد بالهند، وكان أبوه معلمه الأول، الذي لم يعلمه في المدارس الإنجليزية واكتفى بتعليمه في البيت.

وقد عنى السيد أحمد حسن بتربية ولده على أفضل ما يتصور من الأخلاق. ويتحدث الأستاذ عن عناية ذلك الوالد قائلاً: «إنه كان يأخذه بالتوجيه الشامل، حتى ليمنعه من استعمال الألفاظ الدارجة، ويدرب لسانه على أفضل الأساليب، وفي الليالي يقص عليه من أخبار الأنبياء، وتاريخ الإسلام، والأحداث الشهيرة من أيام الهند، ويكشف له عما وراءها من الدروس والعبر».

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

ويقول الأستاذ أيضاً: «لقد ضربت ذات يوم طفلاً لأحد الخدم في حارتنا، ولما انتهى الخبر إلى والدي دعاني وجاء بذلك الطفل وأمره أن يقتص مني».

وهكذا أحيط أبو الأعلى منذ نعومة أظفاره بالكريم من التربية العملية، التي طبعت حياته بالأكرم من الخلال.

كما حرص أبوه على تعليمه اللغة العربية والفارسية بالإضافة إلى الفقه والحديث، وأقبل المودودي على التعليم بجد واهتمام حتى اجتاز امتحان مولوي، وهو ما يعادل الليسانس.

أما من ناحية نباهته فإلى جانب حفظه للموطأ في سنه المبكرة كان تقدمه في العربية التي يقول . إنه بلغ من إلمامه بها خلال بضعة شهور ما مكنه من ترجمة كتاب (المرأة الجديدة) تأليف الكاتب المصري الشهير قاسم أمين، إلى اللغة الأردية بطريقة نالت الإعجاب.

ومن تلك المرحلة انتقل إلى المدرسة الثانوية فألحق بالسنة الثامنة ولما يتجاوز الحادية عشرة من العمر واستحصل على شهادتها وهو في الرابعة عشرة بتفوق بالغ.

ولقد أدى زهد والده إلى ضيق في معيشتهم شديد، اضطر الوالد للنزوح إلى مدينة بهوبال، تاركاً ابنه يتابع دراسته في «أورنك أباد». ويصف الأستاذ المودودي هذه الفترة من حياته قائلاً: «كان مسكنه على مبعدة خمسة عشر ميلاً من مدرسته، وعليه أن يجتازها على قدميه ذهاباً وإياباً كل يوم.. وربما فعل ذلك وهو طاوي البطن لا يجد ما يأكله».. وبعد نصف سنة جاءته الأخبار عن شلل أصاب والده، فلم يتمالك أن يترك المدرسة ليعود مع والدته إلى بهوبال حيث قاما برعاية والده الصالح حتى وافته المنية عام (١٩١٧م).

المودودي صحفيًا

ضاقت سبل العيش بالأسرة والأبناء، فكان على المودودي أن يكافح من أجل لقمة العيش، وقد وهبه الله ملكة الكتابة التي صقلها بالقراءة والمطالعة، فقرر أبو الأعلى أن يجعل من قلمه وسيلة للرزق، وكان أخوه الأكبر «سيد أبو الخير» مديرًا لتحرير جريدة مدينة بجنور، فعمل المودودي محررًا بالجريدة، إلا أنه لم يستمر طويلا بها، فقد أغلقت الحكومة الجريدة، فانتقل بعد ذلك إلى جريدة «تاج» التي كانت تصدر أسبوعية من جبلبور، ثم أصبحت يومية.

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

وقد انتفع بموهبته الإنشائية فجعل يكتب لها الافتتاحيات اللاهبة في موضوع الخلافة، الذي كان مشغلة نفوس مسلمي الهند في ذلك العهد، ولم يكتف بنصرة الحركة عن طريق الكتابة فقط بل جعل يقتطع من أجوره ما يتبرع به لصندوقها.

وفي هذا الجو المتأجج بالحماسة الإسلامية ألف اثنين من أوائل كتبه، أحدهما (النشاطات التبشيرية في تركية) والثاني بعنوان (مجازر اليونانيين في سمرنا) وفي هذين العنوانين ما يكفي لتصوير قلق مسلمي الهند على إخوانهم في تركية، التي كانت ترزح أثناء ئذٍ تحت كابوس الاحتلال الصليبي، وتعاني من عدوان اليونانيين على مناطقها التي أغرقوها بدماء الأبرياء.

وفي العناوين إلى ذلك دلالة أخرى على ما في قلب هذا الفتى، الذي لم يتجاوز السابعة عشرة بعد من تفاعل مع أحداث العالم الإسلامي، وبخاصة في دولة الخلافة، التي كانت، على ضعفها الذي أطمع بها أعداء الإسلام، مطمع أنظار المسلمين على تباعد أقطارهم، والمركز الذي يستقطب مشاعرهم الروحية، فيؤلف قلوبهم حول الخليفة الذي يعتبر الرمز المقدس لوحدة العالم الإسلامي..

وما لبثت الحكومة أن أغلقت تلك الجريدة، فعاد المودودي إلى «دلهي» وقابل مفتي الديار الهندية الشيخ «كفاية الله» والشيخ «أحمد سعيد»، وكانا من كبار جمعية العلماء بالهند، ووقع الاختيار عليه لرئاسة تحرير الصحيفة التي ستصدرها الجمعية تحت اسم «المسلم»، وصار مديرًا لتحريرها لمدة ثلاث سنوات حتى أغلقت عام (١٣٤١هـ = ١٩٢٢م) فانتقل إلى بهو بال، ثم عاد مرة أخرى إلى دلهي سنة (١٣٤٢هـ = ١٩٢٣م)؛ حيث تولى الإشراف على إصدار جريدة تصدرها جمعية علماء الهند تحمل اسم «الجمعية»، وظل يتحمل وحده عبء إصدارها حتى سنة (١٣٤٧ هـ = ١٩٢٨م).

وكفى بهذا دليلاً على ما بلغه المودودي الشاب من مكانة في أوساط أهل العلم والعاملين في ميدان القضية الإسلامية وحركة التحرير الوطنية جميعاً. جعلته موضع الثقة من أفاضل العلماء وكبار الساسة.. وهي ثقة من شأنها أن تفسح السبيل لمستقبل أبعد وأعمق.

ثم لا ننسى أن عمله في الصحافة قد أتاح له الاطلاع على خفايا الأحداث وأنواع النفوس، وفي ذلك زاد لا غنى عنه للرجل الذي يعده القدر للإسهام في قيادة الفكر الإسلامي على المستوى العالمي.

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

مزيد من الثقافة

ودهلي في الهند كالبصرة في دولة بني العباس، ملتقى الثقافتين الغربية والإسلامية، فلا معدى للرجل الطلعة، ذي النهم الذي لا يخمد إلى المعرفة، من الانتفاع بهذه البيئة إلى أقصى الحدود، وكذلك فعل صاحبنا، فأقبل على تكثيف معرفته العربية بدراسته علوم البلاغة والأدب على أحد المختصين في ذلك البلد، وقرأ أمهات من كتب الحديث على آخر من المشهورين بهذا الفن، واغترف ما أمكنه من التفسير والفقه والمنطق من أحد كبار علماء ذلك البلد.

ولم يغفل أمر العلوم العصرية فتعلم الإنجليزية على أحد أستاذتها في أربعة أشهر، وعن طريق الإنجليزية أطل على الكثير من علوم الغرب كالتاريخ والفلسفة والعلوم الاجتماعية، وبذلك أتيح له أن يعلم من مواضع التلاقي والافتراق بين الثقافتين، ما لم يكن ليحيط به لولا هذا التضلع الذي وفقه الله إليه.

وفي هذا الغمار من الكتابة في شئون المسلمين، والدراسة المتصلة لمختلف الفنون والعلوم، تمكن المودودي من إخراج كتابين آخرين أحرزا الكثير من الإعجاب والرواج، وهما (مصدر قوة المسلم) و(الجهاد في الإسلام).. وكان سبب تأليفه لكتاب «الجهاد في الإسلام» أن (المهاتما غاندي) نقل عنه قوله بأن الإسلام انتشر بحد السيف، كما قال آخرون: إن الإسلام هو دين العرب الذين كانوا يضربون عنق كل من لا يؤمن بدينهم؛ وهو ما أثار المشايخ والعلماء .. وخطب الإمام «محمد علي الجوهري» خطبة في الجامع الكبير بدهلي، وصدح بقولته: «ليت رجلا من المسلمين يقوم للرد»؛ فأراد المودودي أن يكون هذا الرجل، وغربل أمهات الكتب في هذا الموضوع، وأخذ يطالع تاريخ الحروب عند جميع الشعوب قديمًا وحديثًا وكتب حلقات متواصلة في جريدة الجمعية، ثم صدرت في كتاب عام (١٩٢٨م).

وكان تأليف هذا الكتاب نقطة تحول كبيرة للمودودي، ويقول: «عرفت الإسلام، وعرفت طريقة إحيائه، وقررت ألا أدخل عالم الصحافة في المستقبل إلا لأن أجعلها وسيلة لخدمة الإسلام وإحيائه».

وكان لهذا التوسع الثقافي أثره العميق في نفس الأستاذ المودودي، إذ تحصل لديه من العلم ما أتاح له أن يُكَوِّن تصوراً متكاملاً عن الإسلام، يختلف عن المفهوم الذي جمد عليه المشايخ التقليديون. وكان لكل من الكتابين على وجه الخصوص أثره الفعال في عقل مؤلفه، إذ كان عليه

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

أن يراجع الكثير من المصادر، ليستمد منها الركائز الأساسية للموضوع الذي يزمع كتابته، فيستكشف أثناء ئذ من الحقائق ما لم يقع عليه من قبل، وبذلك تتسع مساحة أفكاره، وتمتد أشواطه خلالها، حتى بلغ كل من الكتابين الحجم الذي لم يتصوره .. وتولى طبع كتاب الجهاد للمرة الأولى العلامة الإسلامي السيد سليمان الندوي في خمسمائة صفحة من القطع الكبير، وبلغ من إعجاب شاعر الإسلام الدكتور محمد إقبال بهذا الكتاب أن جعل ينصح للشباب المسلم باقتنائه والانتفاع به.. بل إن الأستاذ المودودي نفسه يرحمه الله يقول عنه:

(إن كتاب الجهاد نفعني أكثر من أي قارئ له، فقد بدأت تأليفه وأنا على حمية القومية، وفرغت منه وأنا على حمية الإسلام.. حتى لقد آليت ألا أعود إلى ممارسة الصحافة في المستقبل إلا على أساس أن أجعلها وسيلة لخدمة الإسلام).

في طريق الدعوة

وتحت هذا التأثير الفكري قرر الأستاذ – أجزل الله أجره – أن يقف حياته على الدعوة إلى الله، ولكنه كان على أتم القناعة بأن الإقدام على هذه المهمة يقتضي استعداداً خاصاً من الزاد العلمي يتناسب مع مستوى العصر.. هذا العصر المليء بالأفكار والتيارات المذهبية مما لم يسبق له مثيل حتى في العصور العباسية.

وفي عام (١٣٥١هـ = ١٩٣٢م) أصدر مجلة «ترجمان القرآن» من حيدر آباد الركن، وكان شعارها: (احملوا أيها المسلمون دعوة القرآن وانهضوا وحلقوا فوق العالم).

وهكذا انقطع الفتى إلى المطالعة الواسعة العميقة، مكتفياً من العمل الدنيوي بالقليل الذي يكفه عن الحاجة، لينصرف بكل طاقته إلى الدعوة عن طريق مجلته «ترجمان القرآن» وقد صور لنا مدى تصميمه بالكلمة التالية التي افتتح بها العدد الأول منها:

«إن هذه المجلة تضع قدمها اليوم في طريق محفوف بالمصاعب والمحن، ويتولى عبئها رجل يعترف بأنه ضعيف فاقد القيمة صفر اليدين. ولكنه على الرغم من وعورة الطريق استعد لحمل هذا العبء يقيناً منه بأن الله الذي نور قلبه بالإسلام، وخلق في نفسه حب الدعوة إليه، هو الذي سوف يؤازره بنصر من عنده، ويمنحه الرسوخ في العلم، والصحة في الفكر، والسلامة في القلب، والطهارة في النفس، والسمو في الروح»

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

وبهذه العزيمة الفذة يمضي الشاب الفقير الأعزل، إلا من سلاح الإيمان والرؤية الواضحة والتصميم الحاسم، في طريق الدعوة التي وهب لها نفسه، ووقف عليها مجلته التي لم يكن لها مؤنس سواه، فهو مديرها ومحررها، ومصحح طبعاتها والساعي الذي يحملها إلى البريد.. والمجيب على كل استفسار يتعلق بها.. فمن أجلها يسهر الليالي يطالع ويكتب إلى صلاة الفجر، ومن أجلها يتحمل شظف العيش حتى لتأتي عليه أيام لا يتاح له من الطعام إلا العدس والماء.

وعلى غلاف المجلة كتب عهده للقراء بأن غايتها إعلاء كلمة الله والدعوة إلى الجهاد في سبيله، ووسيلتها إلى ذلك نقد الأفكار المنحرفة ومبادئ الحضارة الغربية بمحك القرآن، ثم عرض المبادئ التي جاء بها كتاب الله وسنة رسوله في كل مجال من الفلسفة والعلوم والسياسة والاقتصاد والاجتماع... إن هذه المجلة تدعو الأمة المسلمة إلى حياة جديدة، وخلاصة دعوتها:

«أيها الناس، اجعلوا قلوبكم وأذهانكم مسلمة خاضعة لله، وتخلوا عن نظم الجاهلية واسلكوا صراط الله المستقيم، وخذوا كتاب الله بالقوة لتكونوا سادة العالم وأئمة الحضارات».

وسرعان ما انتشرت هذه الأفكار في مواطن المسلمين على مدى القارة، كما ينتشر شعاع الفجر في ليل كثيف الظلمات.. وأخذت كلماته سبيلها إلى القلوب والعقول تتداولها وتتأملها وتتفاعل معها.

مع إقبال

وكان تأثير المودودي عبر مجلة «ترجمان القرآن» من أهم العوامل التي ساعدت على انتشار التيار الإسلامي في الهند، وزيادة قوته، وقد تبلور ذلك في حزب الرابطة الإسلامية، وتأكد ذلك في دعوته أثناء المؤتمر الذي عقد في لنكو سنة (١٣٥٦هـ=١٩٣٧م) إلى الاستقلال الذاتي للولايات ذات الأغلبية الإسلامية.

والأحداث التي شاء الله أن تنضج على نارها شخصية المودودي وأفكاره، هي نفسها التي مازجت عقل إقبال وقلبه، فتشابهت الشخصيتان إلى حد بعيد، وتلاقت أفكارهما في إطار يكاد يكون واحداً.. ولعل أبرز نقاط التلاقي بين العملاقين هي إيمان كل منهما بعظمة الإنسان المسلم، واحتقارهما للضعف الذي مسخ ذاتيته في أتون النوائب، التي أطبقت عليه في كل مكان من وطن الإسلام، فكان من الأهداف الفكرية لكل منهما إيقاظ تلك الذوات المخدرة، وإعادة

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

الثقة بالنفس إليها، وبعث وعيها لحقائق هذا الدين، التي غيرت مسيرة الإنسانية من قبل، وهي على أتم الاستعداد لتغييرها من بعد.

وأحس شاعر الإسلام «إقبال» من خلال مقالات المودودي في «ترجمان القرآن» قوة الوشائج التي تجمع بينهما، فكتب إلى صديق له في حيدر أباد ليبلغه رغبته في مقابلته، فلم يتلبث حتى شخص لزيارته في لاهور.. وكان لقاء ضاعف من قوة تلك الوشائج، إذ وجد كل منهما أفكاره في صدر صاحبه وتم الاتفاق بينهما على أنه ثمة ركيزتين أساسيتين لا نجاح بدونهما:

- إحسان العرض لعظمة النظام الإسلامي بالأسلوب العلمي المقنع.
- وإعداد الرجال الذين يصلحون لقيادة المسلمين فكراً وعملاً.

واستجاب الأستاذ لاقتراح إقبال بالهجرة إلى لاهور بالبنجاب في سنة (١٣٥٦هـ = ١٩٣٧م)، التي تعتبر مهد الحركات والدعوات والتيارات الفكرية، واتخذ فيها موطنه منذ ذلك العهد، بيد أن الأجل سرعان ما وافى الشاعر العظيم في العام التالي (١٣٥٧هـ = ١٩٣٨م)، فحرمه القدر الحكيم فرصة التعاون مع ذلك القلب المؤار بنور الإيمان وهدايته.. وسجل المودودي مشاعره بإزاء هذه المصيبة في قوله: «فقدت أكبر سند في الدنيا بموت هذا الرجل العظيم»

وهكذا رحل إقبال تاركًا فراغًا كبيرًا في مجال الفكر والدعوة فاتجهت الأنظار إلى المودودي ليملأ هذا الفراغ.

وكان على المودودي أن يستفيد من جو لاهور العلمي فاستجاب لدعوة كلية «حماية الإسلام» وشرع في العمل بها محاضراً دون أجر لمدة عام.. ومن ثم اتجه إلى العديد من المدن يلقي فيها المحاضرات على الطبقات المثقفة، فكان منها واحدة في قاعة بلدية لاهور بعنوان «الجهاد في سبيل الله» وأخرى في «مجلس الأخوة الإسلامية للطلبة الجامعيين» بلاهور أيضاً، ثم محاضرتان بعنوان «منهاج الانقلاب الإسلامي» و «معضلات الإنسان الاقتصادية وحلها في الإسلام» ألقاهما في جامعة عليكره عام (١٩٤٠ - ١٩٤١م) ثم أخرى في دار العلوم لندوة العلماء بعنوان «منهج جديد للتربية والتعليم» وواحدة بعنوان «الإسلام والجاهلية» في مجلس الدراسات الإسلامية بالكلية الإسلامية في بشاور.

مع إقبال وقطب في سبيل الإسلام

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

وممن قُرنوا بالمودودي دائما الأستاذ (سيد قطب) الذي رأى الكثيرون تشابهًا في أفكارهما؛ حتى إن المودودي ذاته أكد على هذا التشابه، فقد روى الشيخ «خليل الحامدي» سكرتير الشيخ المودودي عنه ذلك قائلا: في أحد أعوام الستينيات بمكة المكرمة دخل شاب عربي مسلم على الأستاذ المودودي، وقدم له كتاب «معالم في الطريق» لمؤلفه «سيد قطب»، وقرأه الأستاذ المودودي في ليلة واحدة، وفي الصباح قال لي: «كأني أنا الذي ألفت هذا الكتاب»، وأبدى دهشته من التقارب الفكري بينه وبين سيد قطب، ثم استدرك يقول: «لا عجب؛ فمصدر أفكاره وأفكاري واحد، وهو كتاب الله وسنة رسوله -صلى الله عليه وسلم-».

وأما عن علاقة الحب والإخاء التي كان يكنها المودودي لقطب رغم بُعد المسافة بينهما؛ فيحكي خليل الحامدي قائلاً: غداة تنفيذ حكم الإعدام بسيد قطب، دخلنا على المودودي في غرفته، وكانت الصحافة الباكستانية قد أبرزت الخبر على صفحاتها الأولى، إلا أنه لم يكن قد قرأه بعد، فسبقنا وقصّ علينا المودودي كيف أنه أحس فجأة باختناق شديد، ولم يدرك لذلك سبباً.. فلما عرف وقت إعدام سيد قطب من الصحف قال: «أدركت أن لحظة اختناقي هي نفس اللحظة التي شُنق فيها سيد قطب».

الجماعة الإسلامية

والمتحدث عن المودودي ملتزم بأمرين اثنين أحدهما أفكاره التي انعكست في مقالاته ومؤلفاته الموسوعية، والثاني هو الجماعة التي أراد أن يجعل منها مجالاً حياً لتطبيق مخططه في تكوين الرجال المؤهلين لحمل رسالة الإسلام، وقد شاء الله أن يخلد أعمال هذا الرجل، فحفظ أفكاره وجعل منها منارة تستمد من أنوار الوحيين، كما يستمد القمر من ضوء الشمس فينقل عطاءها للناظرين.

لقد آمن المودودي بطريقة إمامه وقائده المصطفى – صلوات الله عليه وسلامه – القائمة على الجمع بين التربية والتعليم جميعاً، كما وصفها كل من عثمان وابن مسعود وابن عمر، عليهم رضوان الله، بما مؤداه: «كنا نتعلم الآي من كتاب الله فلا ننتقل منها على غيرها حتى نتعلم العمل بها»

فكان من ثمرات ذلك الإيمان أنه لم يكتف بالعلم يبثه في الكتب والصحف، فأقام لترجمته ذواتاً تحمل طابعه، وتمثل معالمه في سلوكها وسائر تصرفاتها.

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

وهكذا أسس الجماعة الإسلامية في لاهور .. كان ظاهر هذه الجماعة هو الإصلاح الشامل لحياة المسلمين اليوم على أساس الإسلام الصحيح النقى مما ألصقه به الحاقدون من شوائب، وأما ما خفي فهو أعظم، وهو أن المودودي أراد من خلال هذه الجماعة نشر أفكاره المقامة على الكتاب والسنة، وانتخب أميرًا لها في (٣ من شعبان ١٣٦٠ هـ الموافق ٢٦ من أغسطس ١٩٤١م). ودعا مسلمى الهند في مجلته «ترجمان القرآن» إلى الانضمام إليها قائلا: «لابد من وجود جماعة صادقة في دعوتها إلى الله، جماعة تقطع كل صلاتها بكل شيء سوى الله وطريقه، جماعة تتحمل السجن والتعذيب والمصادرة، وتلفيق الاتهامات، وحياكة الأكاذيب، وتقوى على الجوع والبطش والحرمان والتشريد، وربما القتل والإعدام، جماعة تبذل الأرواح رخيصة، وتتنازل عن الأموال بالرضا والخيار»

وقد تم أول اجتماع لتأسيس هذه الجماعة عام (١٩٤١) وبعد الاتفاق على نظامها الأساسي أعطى كل من أعضائه الخمسة والسبعين عهده بتنفيذ ذلك الميثاق ذي الفقرات الثماني عشرة، الشاملة المحددة لهويتها الإسلامية.. مجدداً ولاءه لكتاب الله تعالى وسنة رسوله –صلى الله عليه وسلم– ومؤدياً شهادة التوحيد في خشوع المتأمل في أبعادها المدرك لعظيم تبعاتها.. وكان من أوائل التزاماتهم لمبادئ الجماعة انسحاب كل موظف بينهم من خدمة الحكومة البريطانية والوقوف في سائر تصرفاتهم عند حدود الشريعة المطهرة، ورفض محاميهم المرافعة أمام المحاكم التي تقتضي بغير ما أنزل الله.

والمتتبع لأعمال هذه الجماعة يتبين أنها تنظيم غير مسبوق يتناول بأنشطته سائر جوانب الحياة، من تعليم وتعاون واقتصاد، وتنمية وسياسة، وطاقات بشرية تشمل الأستاذ والطبيب والتاجر والطالب والفلاح والنساء والرجال على السواء.

وقد يقف المتأمل في هذا التنظيم وهو يتذكر نظيره الذي قام بمصر على يد الشيخ حسن البنا وإخوانه، في نفس الفترة من حياة العالم الإسلامي، فيتساءل: أيهما الذي اقتبس من الآخر ؟!. كما يقف مشدوهاً أمام التلاقي المائل بين أفكار المودودي وسيد قطب، دون أن يستطيع فصلاً تاماً بين المؤثر والمتأثر.

ولا شك أن لهذا التميز الخلقي أثره السلمي في نفوس مخاصميهم، الذين عجزوا عن استدراج الجماعة إلى الدخول في معاركهم المثارة، فراحوا يؤلبون عليها بسطاء المشايخ، فيصدرون

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

الفتاوى بتسفيه أفكارها وتشويه دعوتها، وتحريم المطالعة لمنشوراتها، ويحرضون الحكام على الإيقاع بها، ولم يضنوا على مؤسسها حتى بالتفكير أو ما يشبه التفكير.

وبعد ذلك بعامين في (١٣٦٢هـ = ١٩٤٣م) نقلت الجماعة الإسلامية مركزها الرئيسي من لاهور إلى دار السلام – إحدى قرى بتها نكوت — وسخر قواه وجماعته لمناصرة قضية فلسطين. كما كان المودودي طوال هذه الفترة لا يكف عن الكتابة والتأليف، فأصدر عدة كتب من أهمها: «المصطلحات الأربعة الأساسية في القرآن»، «الإسلام والجاهلية»، «دين الحق»، «الأسس الأخلاقية الإسلامية»، وغيرها.

ومع إعلان قيام دولة باكستان في (١١ من شوال ١٣٦٦هـ = ٢٨ من أغسطس ١٩٤٧م)، انتقل المودودي مع زملائه إلى لاهور؛ حيث أسس مقر الجماعة الإسلامية بها، وفي (صفر ١٣٦٧هـ = يناير ١٩٤٨م) بعد قيام باكستان بنحو خمسة أشهر، ألقى المودودي أول خطاب له في كلية الحقوق، وطالب بتشكيل النظام الباكستاني طبقًا للقانون الإسلامي.

مرحلة الصراع

كانت المسيرة حتى الآن في حدود الفكر والعلم، تتوسل إلى تحقيق أهدافها العليا بالحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالتي هي أحسن.. أما بعد تقسيم الهند وقيام الباكستان باسم الإسلام. فقد تعددت الحلقات، وتكاثفت المشكلات، وتحركت الأهواء يريد كل منها أن يفرض نفسه على المجتمع الجديد.

وأخطر هذه المشكلات هو في اضطراب الرؤية عند الساسة الذين قادوا حركة الانفصال، فهم يتكلمون عن دولة إسلامية، ويتحدثون عن مميزاتها القومية، ولكنهم لا يملكون أي فهم لمضمون الإسلام، من حيث كونه نظاماً مستقلاً بذاته عن كل نظام آخر عرفه الإنسان الحديث في شرق أو غرب.

ومن هنا تدفق سيل البلاء على دعاة الحق، إذ أصبحوا يشكلون الجبهة الوحيدة المقاومة لتلك الشواذ الخطيرة، والمتصدية لتصحيح الأفهام، ولنشر التوعية بحقائق الإسلام، والمعارضة لكل انحراف عن جادته في أوساط الحكام.

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

ومن البديهيات المألوفة في عالم السياسة الميكافيلية أن أصحاب الحكم المطلق لا يقرون معارضة تحدُّ من سلطانهم، فكل محاولة لتغيير وجهتهم من قبل الآخرين إنما هي بنظرهم تطاول على كرامتهم، واستهانة بشأنهم، لا مندوحة من القضاء عليها بكل الوسائل الممكنة.

وهكذا وجدت الجماعة الإسلامية وقائدها الملهم أنفسهم في أتُّونٍ من المحن المتلاحقة لا يفرغون من الواحدة حتى تتلقفهم الأخرى.

إنهم يرون اتجاه الدولة في الطريق نفسه الذي طالما عانوا من شروره في ظل الاستعمار الإنجليزي، بل إنهم ليرون هؤلاء الحكام المحسوبين على الإسلام أشد عداءً له من الإنجليز أنفسهم، وأشد منهم اندفاعاً في تأييد قوانينهم المنافية لدين الأمة، فعلام إذن حدث هذا الانفصال، وفي سبيل أي شيء تحمل المسلمون تكاليفه التي ذهبت بعشرات الآلاف من إخوانهم وبآلاف الملايين من ممتلكاتهم ؟!

كلا.. إن الله لن يعذر مسلماً يرضى بهذه الخيانة التي ستقرر مصير المسلمين إلى أحقاب طويلة وإذا كانت التبعة على قدر الإدراك فعلى عاتق الجماعة الإسلامية يقع العبء الأكبر منها.

في معركة الدستور

وهكذا أخذ المودودي زمام المبادرة لمواجهة كل تدبير يضاد الخط الإسلامي، وكان سلاحه في هذه المعركة ذلك القلم الذي استطاع بتوفيق الله أن يوقظ النائمين، ويقض مضاجع الظالمين ثم تلك الجماعة التي احتضنت أفكاره، من خلال إيمانها بكتاب الله تعالى وسنة رسوله –صلى الله عليه وسلم–، وشاركته التصميم على تحمل كل مسئولية في سبيل الله.

ومن الطبيعي أن يقع ثقل المعركة بين الطغيان الجديد، والجماعة الإسلامية .. بين علمانية المتسلطين وإسلامية المودودي وإخوانه العاملين.

وحشد كل من الفريقين أعوانه في التحام غير متكافئ من حيث الإمكانات، فبينما يقود رجال السلطة مرتزقة الغوغاء من السياسيين والعسكريين وأتباعهم، من عميان العامة والحاقدين على الإسلام، ليضربوا بهم جنود الحق العزل بكل ضروب الإرهاب، كان هؤلاء يدفعون الشر بالخير والحماقة بالحكمة والموعظة الحسنة، وقد وطنوا أنفسهم على التضحية بكل شيء من أجل الإسلام، الذي باسمه ولأجله قامت باكستان.

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

وتفاقم الصراع بين الطغيان والجماعة الإسلامية، على تفاوت ما بين وسائل كل من الفريقين، وقد تجلى ذلك أكثر ما يكون في معركة الدستور، التي حفزت كلا منهما لتعبئة أقصى ما يملك من الطاقات، ولا غرو، فالدستور هو المنطلق الذي سيحدد الخط النهائي لنظام الحكم.. وهو الفيصل الحاسم في حياة المجتمع الباكستاني وفي مسيرته العامة، فإما أن يكون إسلامياً ينسجم مع طبيعة السواد الأعظم من الأمة، التي دفعت فداء إسلامها عشرات الألوف من الشهداء والمشوهين، فازدادت به تشبثاً، يقيناً منها بأنه لها بمنزلة الروح من الجسد، والمأمن الذي ليس وراءه إلا العار والدمار.

وإما مخطط شيطاني تمليه أهواء الأقليات الضالة من متسلطين نشئوا في محاضن الاستعمار فلا يستسيغون سوى طريقته في الحياة، ووثنيين خُلِّفوا في باكستان ليكونوا «الطابور الخامس» لأعدائها المتربصين بها الدوائر... ماركسيين فقاديانيين يدعون الإسلام وهم ألد أعدائه، الذين أعطوا ولاءهم لبريطانية التي حطمت كيان الدولة الإسلامية في الهند، وملأت شوارعها بجثث العشرات من آلافهم.

وكان على الجماعة العزلاء إلا من سلاح الإيمان أن تثبت للمتسلطين تأييد السواد الأعظم من الأمة لدعوتها إلى الدستور الإسلامي، فراحت تعقد الاجتماعات الشعبية هنا وهناك، فتتهافت الجموع المؤمنة لتأييدها في تصميم لا يعتريه خوف الموت.

وصدرت الأوامر إلى مرتزقة السلطة وجنودها بمهاجمة هذه الاجتماعات بكل وسائل الإرهاب، وثبتت الجماعة بوجه المجرمين، معتصمة بالصبر والهدوء والرد بالتي هي أحسن.

وهكذا يمضي الفريقان كل في الطريق الذي ارتضاه أو سيق إليه.. وكان أشد الجميع إيذاءً للجماعة الإسلامية جمهور القاديانيين من أنصار وزير خارجية باكستان، التي يقول أول رئيس لوزرائها لياقات علي خان: «إنها هبة الإسلام» ومع ذلك لا يتورع حكامها أن يشهروا الحرب على الإسلام وأن يسلطوا عليه أشرس أعدائه.

وعلى الرغم من المنهج السلمي الذي أخذ به الأستاذ المودودي جماعته لم يجد بداً من مواجهة القوى الشريرة بالتظاهرات السلمية المصممة تملأ شوارع البنجاب هاتفة بسقوط القاديانية. وغر القاديانيين سلطانهم في قوى الأمن فانهالوا على المؤمنين بالنار التي حصدت من المتظاهرين عدة مئات .. ولكن الإيمان كان كشأنه دائماً أقوى من الموت، فلم يقف الزحف السلمي حتى

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

سقط قائد القاديانية «ظفر الله خان»، وتضاءلت قواته حتى كادت تنحصر في حوك الدسائس من وراء الدستور.

أكبر من الموت

في هذه الظروف ألف الأستاذ المودودي رسالته في موضوع القاديانية ففضح عقائدها ومؤامراتها الرهيبة على المسلمين، وكان حاكم باكستان «غلام محمد» ما لبث أن اتخذ منها مسوغاً لإعلان الحكم العرفي ولإلغاء الجمعية التأسيسية، ولوقف البحث في الدستور الجديد، الذي يوشك أن يأخذ طابعه الإسلامي تحت ضغط الشارع، الذي يقوده المودودي وأنصار فكرته.. وتلا ذلك اعتقال الكثيرين من رجال الإسلام، وعلى رأسهم المودودي بتهمة تأليف كتيب وصف بأنه ضاعف من أسباب الاضطرابات والقلاقل.. وهي مناسبة تتيح لأولئك المتسلطين فرصة التخلص من الرجل الذي يشكل بنظرهم العقبة الكبرى في طريق الدولة العلمانية، التي تطلق أيديهم في رقاب الشعب، وتمكنهم من العبث بكل قيمه الإسلامية.

وأصدرت محكمة العسكر قرارها بإعدام المودودي، في محاكمة صورية كالتي يساق إليها الإسلاميون في مصر وتركية وإندونيسية، والعديد من أقطار المسلمين الرازحة تحت كابوس العسكريين.

ويصف مرافقه خليل أحمد الحامدي موقفه وهو يتلقى ذلك الحكم الظالم فيقول: «لقد استمع إلى هذا القرار بوجه باسم وقلب مطمئن، ولم يزد على قوله ...الحمد لله على كل حال».

وجاء الضابط ليسلمه نص القرار وهو يقول: «يمكنك أن تقدم الاسترحام خلال أسبوع».

ولعل هذا الضابط كان يظن أنه يقدم بذلك بشرى سارة إلى ذلك المحكوم بالموت، وهو يجهل أنه تلقاء نوع من الرجال لم يسمع بمثله قط، لذلك لا بد أنه فوجئ بقول الشيخ في الرد على عرضه: «لن أسترحم أحداً لأن أحكام الموت والحياة لا تصدر من الأرض، بل من السماء، فإذا قدر الله لي موتي فلن يستطيع أحد إنقاذي، وإذا قدر الله الحياة فليس بمقدور أحد أن يضرني قيد شعرة »

ثم توجه الأستاذ إلى إخوانه الحاضرين تلك المحاكمة بقوله: «لا يقدم أحد منكم أي استرحام بشأني، وأؤكد بذلك على والدتي وأخي وزوجتي وأولادي جميعاً».

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

ولكن.. وعلى الرغم من استنكاف الأستاذ عن طلب الرحمة فقد أعادت المحكمة العسكرية نفسها النظر في قرارها واستبدلت به حكماً بالسجن لمدة إحدى وعشرين سنة.. ولعلها قد فعلت ذلك بإيعاز من السلطة التي تدرك مدى الخطر في إعدام الشيخ المودودي، الذي استحوذ بشخصيته المثالية على حب المسلمين، وعرف الطريق إلى قلوبهم فهو يؤلبهم لتوكيد انتمائهم الإسلامي، فأقدمت على ذلك التغيير تفادياً للعواقب التي لن تستطيع دفعها.

إلى المحكمة العليا

وقد قضى الأستاذ خمسة وعشرين شهراً فقط من تلك السنين في السجن.. إذ انتهز إخوانه فرصة قيام وزارة جديدة فرفعوا إلى المحكمة العليا بلاهور اعتراضاً على ذلك الحكم بالباطل متذرعين بالبراهين القانونية التي لا تدفع.

يقول الأستاذ الحامدي: «لما دخل الإمام المودودي قاعة المحكمة العليا وقف قضاتها احتراماً له .. وهو موقف لم يعرف له مثيل في تاريخ القضاء».

في هذا المشهد الرائع سمع الإمام المظلوم قرار المحكمة العليا بالإفراج عنه، مصحوباً بالتكريم الأسمى من أعلى هيئة قضائية وثقافية في باكستان، فكان ذلك إدانة دامغة لعهد خان قضية الإسلام، الذي لولاه لما كان لباكستان من حق في الوجود.

وإن كل ذي ضمير حي في العالم الإسلامي ليشعر بالتوقير البالغ لأولئك القضاة الذين أثبتوا أنهم فوق الأهواء، وأنهم مع الحق الذي لم يوجد القضاء إلا لحمايته من عسف البغاة والمستبدين.

ولقد كان لهذه الظاهرة أثرها العميق في ارتفاع معنويات المسلمين، فإذا بالمسيرات والمواكب والحفلات تعم أرجاء لاهور بمظاهر الفرح والاستبشار، وأقيمت الاحتفالات العديدة لاستقبال البطل الظافر، وفي أحد هذه التجمعات رد على كلمة الترحيب بقوله: «لقد ذكرتم ما قدر الله علينا من محن الحكم بالإعدام إلى امتحان السجن، وأحب أن أقول لكم إن هذه الأحداث لم تفاجئنا قط، بل إني كنت أتوقع أمثالها منذ أن وضعت أول خطاي في هذا الطريق قبل اثنين وعشرين عاماً.. إذ من خصائص العقيدة التي نؤمن بها أن نواجه بالمحن، وقد علمنا التاريخ أن الدعوة امتحنت في الماضي، ولا بد أن يتكرر الامتحان في الحاضر والمستقبل، سنة الله ولن تجد لسنة الله تبديلاً».

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

المفاجأة الرهيبة

وكانت هدنة تحرر المسلمين أثناءها من كابوس الإرهاب العسكري، وبخاصة بعد أن عادت الجمعية التأسيسية الجديدة إلى أعمالها، وصدقت على الدستور الإسلامي، الذي أجمعت عليه الأمة بلسان علمائها وجماعاتها وجماهيرها الشعبية، واعتبر يوم صدوره من عام (١٩٥٦م) منطلق حياة سعيدة للمسلمين جميعاً، لم يشذ عنهم إلا قلة من المستغربين والشيوعيين والقاديانيين والنفعيين، الذين ألقوا بأقدامهم إلى مزلقة الإثم، فلم يعودوا بقادرين على التوقف قبل أسفل الهاوية.

وعبر المودودي أيامئذ عن فرحة المسلمين بذلك التصريح الذي يصور مدى أمل المسلمين في مستقبلهم المنشود: «نبدأ اليوم حياة جديدة، حياة شعب حر قرر بلسان ممثليه أن الحاكمية في باكستان لله عز وجل، وأن السلطة أمانة في عنق الأمة لا تزاولها إلا في نطاق ما حدد الله ورسوله.. فالحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله».

ولكن شاء الله ألا تقف محنة باكستان عند هذه النهاية البهيجة، لأن أعداء العدالة والخير قد صمموا على ألا يلقوا سلاحهم وفيهم عرق ينبض، وهكذا فوجئت باكستان ذات صباح بمثل الحال التي أشار إليها قول الشاعر:

قد سالمتك الليالي فاغتررت بها وعند صفو الليالي يحدث الكدر

ففي الثامن أكتوبر عام (١٩٥٨م) أغار الجنرال محمد أيوب، وكان رئيساً لأركان الجيش الباكستاني، على أمنها في انقلاب عسكري ألغى البرلمان ونقض الدستور، وأدخل البلاد في تيار المحن والمتاعب المتلاحقة طوال إحدى عشرة سنة، لم تعرف لها باكستان نظيراً في كثافة البلاء وجرأة الحكام على دينها وشريعتها.

لقد صمم محمد أيوب على اجتثاث المعارضة لحكمه بكل الوسائل الممكنة، وبدا له أن يجرب أسلوب المكر مع الإمام المودودي، وكان ذلك عام (١٩٦٠م) حين جاء مدينة لاهور، وهناك بعث إليه يدعوه لمقابلته في قصر الحكم، وبعد تردد بين الإجابة والرفض قرر مقابلته رجاء أن تكون المقابلة في صالح الدعوة، واستقبل أيوب الشيخ بترحيب حار وأحاطه بحفاوة جميلة، وراح يطري جهود الشيخ ويكثر الثناء على خدماته للإسلام، وقدرته البارعة في اكتساب العقول والقلوب... حتى إذا انتهى على ما يريد قال: «أيها الشيخ الفاضل. أقترح عيك التفرغ للدعوة

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

والتبليغ بعيداً عن التورط في السياسة والانغماس في أوحالها.. وبذلك تكون أكثر نفعاً لقومك ووطنك».. ولكن الشيخ سرعان ما أبطل مكره حين أجاب: «حقاً إن السياسة قد استحالت أوحالاً، ولذلك دخلتها لأطهرها من الأوساخ، وأجعلها نظيفة سديدة لا تدنس الأذيال بل تعود رحمة على الوطن وأهله».

مؤامرة على الإسلام

وكان هذا الجواب بمثابة النذير بمعركة جديدة بين الطغيان والإيمان.. وقد امتازت هذه المعركة بضروب من العنف والهول أكبر من كل التجارب السابقة، ذلك أن محمد أيوب قد دخلها في برنامج صريح يستهدف حرباً للإسلام لا هوادة فيها.. فقد قرب إليه منكري السنة من أتباع المدعو «أبرويز»، وما أدري أذلك اسم له أو لقب، ولكن المعروف أنه اسم لآخر أكاسرة الفرس، ذلك الأحمق الذي مزق كتاب رسول الله –صلى الله عليه وسلم– فمزق الله ملكه وقتله بيد ولده، ولعل هذا الخائب قد اختار لنفسه ذلك اللقب إعلاناً لنيته بتمزيق الكيان الإسلامي في باكستان.

لقد راح هؤلاء الخائبون يثيرونها حرباً شعواء على السنة النبوية فيصدرون الكتب والمجلات المشحونة بالطعن عليها، وتتولى أجهزة الإعلام الحكومية توزيعها وإشاعتها، وأقبلت على وضع تفسيرات مضللة لمعاني الكتاب الحكيم، تصرفها عن مقاصدها الإلهية إلى توجيهات هدامة، كتفسيرها القطع للسارق بتأديبه في السجن والغرامة، وتفسيرها للصلاة بالحركة والنشاط والتزام الدوام الرسمي في الموعد المحدد، وقولها في الزكاة إنه استثمار المال في المشروعات الإنمائية، وأتموا مؤامراتهم باعتبار رئيس الدولة بمثابة الرسول في امتلاك السلطة المطلقة في التشريع والتقنين وتفسير الأحكام القرآنية بما يراه مصلحة لعصره دون مراجعة لسنته –صلى الله عليه وسلم–.

وبهذه القحة أصدر محمد أيوب عدداً من القوانين المضادة للشريعة المطهرة، وبخاصة في نطاق الأحوال الشخصية، التي يعتبر الإخلال بها سلخاً للمسلم من صبغته الإسلامية، ومن ذلك حظر الزواج على الفتى الذي لم يبلغ السادسة عشرة مع إباحة الزنى والمخالّة له مع أيّ شاء من النساء.

وفي هذا الجو الخانق أغلقت أفواه العلماء، وحيل بينهم وبين إبداء مرئياتهم في هذه التصرفات الخرقاء، ولم يبق في الساحة من يرجى للتنفيس عن صدور المسلمين سوى الرجل الذي وهب حياته للإسلام، فلا يبالي على أي جنب كان في الله مصرعه.

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

لقد انبرى المودودي لعدو السنة أبرويز وجعل يفند أضاليله الواحدة بعد الأخرى في مجلته «ترجمان القرآن» حتى أتى عليها جميعاً، فكشفه للناس عدواً مبيناً لدين الله، وهو يعلم يقيناً أنه لا يهاجم أباطيله وحدها، بل يهاجم من ورائه السلطة التي تمده بكل أسباب القوة.. ويهاجم كذلك كل من أخذ بترهاته من أعداء السنة. وهذا كتابه «مكانة السنة في التشريع» يجعل من هؤلاء في كل زمان ومكان أضحوكة العقلاء، بما يعري من جهلهم لحقائق الإسلام، القائمة على الكتاب والسنة دون أي انفصام.

وتصدى لقوانين أيوب المنافية لشريعة الله بالنقد العلمي الذي قطع ألسنة كل المدافعين عنها.. مما أثار حنق الطاغية فأمر باعتقال بعض قادة الجماعة الإسلامية، وزج بالسجن صاحب المطبعة التي أقدمت على نشر ذلك النقد.. ولكنه لم يتعرض لشخص المودودي، ولعله توهم أن تجريده من إخوانه في ذلك الجو الرهيب كاف للحد من نشاطه، ومُلْقٍ في قلبه الرعب فيمسك عن مهاجمة دستوره الهدام، ولكن خاب فأله، حين رأى البطل المؤمن يتناوله بالتشريح الفاضح، فيبرز بوائقه، ويبين أخطاره على الحرية، وما يستهدفه من توطيد النظام الاستبدادي وعلى الرغم من إحجام الصحف الباكستانية عن نشر ذلك النقد الفاضح، فقد حملته الألسن إلى كل مكان فتردد صداه على مستوى الدولة كلها.

تصميم أعظم من الإرهاب

وبذلك تهيأت الأذهان لحضور الاحتفال الذي أعدته الجماعة الإسلامية لإعلان قرارها الحاسم في ذلك الدستور البغيض.. واستحصلت على إذن من النيابة بعقد ذلك الاجتماع الذي ضم ما يزيد على عشرة آلاف مندوب وعزّ على السلطة الاستبدادية أن تمر تلك المناسبة الهامة بسلام، فدفعت أدواتها من رجال المباحث لإحداث البلبلة، فاندسوا خلال المجتمعين، وجعلوا يثيرون الشغب ويطلقون الشعارات المعادية للجماعة ولقائدها.. وهو قائم يلقي خطابه في الجمهور، وعمدوا إلى أسلاك المكبر فقطعوها لكي يمنعوا صوته من الوصول إلى الأسماع.. إلا أن الجماعة سرعان ما تداركت هذا الحال بالعودة إلى طريقة المبلغين، الذين نهضوا في جوانب الحفل، وجعلوا يستقبلون كلمات الأستاذ ليوصلوها إلى الحضور كاملة مفصلة.. وساء المشاغبين إخفاقهم في إفساد الاجتماع فعمدوا إلى السلاح يطلقون النار لمجرد الإرهاب أولاً، ثم وجه أحدهم طلقته إلى الشيخ المودودي نفسه، ولكن شاء الله أن تصيب رجلاً آخر من الجماعة فيسقط شهيداً في

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

الحال، ويظل الأستاذ منتصب القامة يترقب الفرصة لاستئناف خطبته، وأحاط به بعض إخوانه يدعونه للجلوس حفاظاً على سلامته، ولكنه أبى وأجاب : «لو جلست فمن سيبقى واقفاً ؟!».

ولم يذهل حرج الموقف عزيمته، وأخذ يوجه تنبيهاته لأفراد الجماعة بالتزام الهدوء، والاكتفاء بإخراج المشاغبين دون أذى.. وما هي إلا دقائق حتى عاد الوضع إلى طبيعته، وهنا أرسل المودودي الحكيم كلمته التي ذهبت مثلاً: «إن مثل الحركة الإسلامية كمثل الماء المتدفق، إذا واجه صخرة في طريقه لا يضيع جهده في تحطيمها، بل ينعطف يميناً ويساراً حتى يترك الصخرة وراءه تعض أناملها من الغيظ».

قضاء فوق الأهواء

ولقد سعر أحقاد محمد أيوب إخفاق أدواته التخريبية في إفساد ذلك الاجتماع، الذي حقق واحداً من أكبر الانتصارات الإسلامية في معركة الدستور، إذ شحن صدور المسلمين وغيرهم من ذوي الضمائر المنصفة، بالنقمة من عهده وأساليبه ووحشية أتباعه، حتى لم يجد مندوحة من محاولة القضاء على الجماعة بأجمعها، فصدرت الأوامر بحلها ومصادرة أموالها واعتقال زعمائها وعلى رأسهم الشيخ المودودي.. ولكن ذلك التدبير الآفن لم يستمر سوى ثمانية أشهر حتى نقضته المحكمة العليا في لاهور بقرار يبرئهم من جميع التهم الموجهة إليهم، ويرد إلى الجماعة حرية العمل كاملة.

وهذه المرة الثانية التي يثبت القضاء العالي في باكستان أنه فوق أهواء المتسلطين، وأن في رجاله من قوة الشخصية والإيمان بشرف المهنة ما يجعلهم ضماناً للعدالة في بلد استولى الطغيان فيه على كل شيء.. وهو الضمان الذي فقدته معظم الشعوب الإسلامية في جحيم الديكتاتوريات، التي جعلت من القضاء، الذي طال صموده من قبل في وجه الاستعمار الأجنبي، مجرد تابع لأهواء السلطة الباغية، لا عمل له إلا تنفيذ الأحكام التي تصدرها مراكز القوى من مباحث ومخابرات وما يسمونه بأمن الدولة.

اللعبة الماكرة

بإزاء هذه الوقائع لم يجد محمد أيوب بداً من تعديل أسلوبه الاستبدادي، فاعتزم سلوك الطريق الأقرب إلى إرادة الجماهير، وذلك بترشيح نفسه للرئاسة، وليكن ما يكون موقف الناخبين منه، ففي يديه الوسائل التي تفرض نجاحه على الأمة ولو لم ينل سوى أصوات من حوله من

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

المرتزقة، وكفى بهذا تدبيراً يسبغ ستار الشرعية على سائر تصرفاته الدموية !. ولم يتردد في قراره فأعلن عن ترشيح نفسه لانتخابات الرئاسة.

وكان على الأستاذ المودودي وإخوانه وأنصار فكرته من أهل العلم والرأي أن يقرروا موقفهم من هذه المناسبة دون تأخير، فاتفقت الآراء على اتخاذ كل الأسباب لإسقاط الطاغية في هذه المعركة، إذ إن خروجه منها بالنجاح المزور سيمكنه من القضاء على أمل الأمة بإقامة المجتمع الطاهر الصالح لتمثيل الإسلام.. ولكن هذا يتطلب منهم أن يقدموا للجمهور شخصية تملك من الشهرة ما يساعدها على التفاف الناخبين حولها.. ومن هنا كان إجماعهم على ترشيح «فاطمة جناح»، أخت محمد علي جناح، الذي اقترن استقلال باكستان باسمه حتى صار لقبه الغالب على كل لسان هو «القائد الأعظم».

ولتوكيد المصلحة الإسلامية أخذوا على فاطمة جناح الميثاق الغليظ بأنها ستدع الحكم لأهل الإسلام يقيمون على ضوئه كيان البلاد المقبل.

وكان لا بد لأشياع الطاغية من استغلال هذه الظاهرة الاضطرارية المتمثلة في ترشيح امرأة لرئاسة الدولة، فراحوا يثيرون الخواطر، ويستحصلون على الفتاوى البريئة لتشويه عمل أهل الإسلام، إذ يطرحون أسئلتهم الملغومة على ثقات العلماء بمثل هذه الصيغة: ما حكم الإسلام في إمارة المرأة ؟

فيأتي الجواب الطبيعي بأن ظاهر الحديث الصحيح يعارضها.. وهو جواب سليم لأنه بمقدار السؤال. وكان الوجه الحق أن يقال: طاغية يحول دون إقامة حكم الله في الأرض، ويشجع الملاحدة على الطعن بصلاحيته، ولا سبيل لكف بغيه إلا بتأمير امرأة مسلمة عاهدت الله أن تسلم الحكم إلى أهل الإيمان بمجرد انتخابها للرئاسة.. أفيصح تأميرها صيانة لمصلحة المسلمين، أم يترك المجال لإنجاح الطاغية، وتمكنه من رقاب الأمة، وحرمانها من تحكيم شريعة الله ؟!!

ولو عرضت هذه الصيغة المعللة على أهل العلم لكانت الفتوى في غير مصلحة العملاء بلا شك.

ولقد تسللت دعاية الطاغية إلى جامعتنا يومئذ عن طريق بعض هؤلاء، والمؤسف أنها لقيت استجابة من بعض المدرسين المؤيدين لذلك الجانب، فانطلقوا يرفعون عقائرهم بالطعن على

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

المودودي وإخوانه، ويشنعون على موقفهم من ترشيح تلك المرأة حتى ضيقوا الخناق على أنصاره في الجامعة وهم كثرة الطلبة الباكستانيين وخيرتهم..

بين الخرافة والغرور

وبلغ الغرور بمحمد أيوب بعد فوزه الصوري في ذلك الانتخاب حده الأقصى.. وكان ذلك في آخر رمضان من عام (١٩٥٧م) إذ حل عيد الفطر في يوم الجمعة، فكبر على الرئيس أن يجتمع على المسلمين خطبتا الجمعة والعيد في يوم واحد، وذلك بنظر الخرافيين في باكستان نذير بإنهاء الحكم القائم، لذلك بادر بمحاولة تغيير موعد العيد فأصدر الأوامر بوجوب إفطار المسلمين يوم الخميس، مع التهديد بالاعتقال لكل من يخالف ذلك الأمر، ولم يكن للميدان غير فارسه المعلم، فأعلن الأستاذ المودودي رحمه الله استنكاره لتلك الخرافة، وأكد للمسلمين بأن موعد العيد موقوف على ثبوت الرؤية، وليس لأحد أياً كان مركزه أن يقدم في ذلك الموعد أو يؤخره بعد الرؤية الثابتة بالشرع.

واعتبر محمد أيوب هذا التصريح من المودودي تحدياً لمقامه وإلغاء لكلامه، فأمر بإعادة اعتقاله، حيث لبث في السجن شهرين، غادره بعدهما ليشهد عقيب أشهر قليلة سقوط الطاغية وزوال عهده الأسود.. ولكن لم ينته إلى هذا المصير إلا بعد أن مهد السبيل لخليفته ذي الفقار بوتو، ومجيب الرحمن، اللذين قضيا على وحدة باكستان.

تأثيره الجماهيري

وعندما قامت الحرب بين باكستان والهند في (جمادى الأولى ١٣٨٥ هـ = سبتمبر ١٩٦٥م) كان للمودودي والجماعة الإسلامية دور بارز في الشحذ المعنوي للجماهير ومساعدة مهاجري الحرب، كما ساهمت الجماعة بشكل إيجابي في الإمداد الطبي، فأقامت نحو عشرين مركزًا للإمداد الطبي في آزار كشمير، وألقى المودودي عدة خطابات عن الجهاد.

وفي (رمضان ١٣٨٦هـ = يناير ١٩٦٧م) قامت الحكومة باعتقال المودودي لمدة شهرين، وبعد أن أطلق سراحه ظل يمارس دوره الدعوي في شجاعة وإيمان، فكان من أبرز دعاة الحرية والوحدة، وظل يحذر الشعب من مساندة الجماعات الانفصالية حتى لا ينقسم الوطن، ويقع في حرب أهلية لا يعلم مداها إلا الله.

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

وفي (رمضان ١٣٩٢هـ = نوفمبر ١٩٧٢م) بعد نحو ثلاثين عامًا من الكفاح الطويل طلب المودودي إعفاءه من منصبه كأمير للجماعة الإسلامية لأسباب صحية، وانصرف إلى البحث والكتابة؛ فأكمل تفهيم القرآن، وشرع في كتابة سيرة النبي -صلى الله عليه وسلم-.

وفي (عام ١٣٩٩هـ = ١٩٧٩م) فاز المودودي بجائزة الملك فيصل العالمية لخدمة الإسلام؛ فكان أول من حصل على تلك الجائزة تقديرًا لجهوده المخلصة في مجال خدمة الإسلام والمسلمين.

مؤلفاته

وطبيعي أن القارئ الذي يريد الإحاطة بشخصية الأستاذ المودودي، لن يكفيه الاطلاع على ما كتبه عنه وعن جهاده الكاتبون، حتى يرجع إلى مؤلفاته نفسها فيُنْعِم فيها الفكر والتأمل، ويتغلغل من خلالها في أعماق تلك الشخصية الفذة، التي أعدها القدر إعداداً خاصاً لإيضاح معالم الإسلام، ولإيقاظ الوعي لحقائقه الجامعة المانعة على ضوء العصر، فكان بها أحد المجددين لهذا الدين.

ولقد بلغ عدد مؤلفات المودودي (٧٠) مصنفًا ما بين كتاب ورسالة، ومن أبرز تلك المؤلفات:

١- الجهاد في الإسلام: وقد ألفه سنة (١٣٤٧هـ = ١٩٢٨م).

٢- الحضارة الإسلامية (أصولها ومبادئها): وقد كتبه سنة (١٣٥٠هـ = ١٩٣٢م).

٣- نظرية الإسلام السياسية: كتبه سنة (١٣٥٨هـ = ١٩٣٩م)

٤- تجديد وإحياء الدين: كتبه سنة (١٣٥٩هـ = ١٩٤٠م).

٥- الاصطلاحات الأربعة الأساسية في القرآن: كتبه سنة (١٣٦٠ هـ = ١٩٤٠م).

٦- الإسلام والجاهلية: كتبه سنة (١٣٦٠هـ = ١٩٤١م).

٧- الأسس الأخلاقية للحركة الإسلامية: كتبه سنة (١٣٦٤هـ = ١٩٤٥م).

٨- الدين الحق: كتبه سنة (١٣٦٦هـ = ١٩٤٧م).

٩- نظام الحياة الإسلامي: كتبه سنة (١٣٦٧هـ = ١٩٤٨م)

١٠-حقوق أهل الذمة: كتبه سنة (١٣٦٧هـ = ١٩٤٨م).

١١-مطالب الإسلام تجاه المرأة المسلمة: كتبه سنة (١٣٧٢هـ = ١٩٥٣م).

١٢-قضية القاديانية: كتبه سنة (١٣٧٢هـ = ١٩٥٣م)

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

١٣-تفسير تفهيم القرآن: ويقع في ستة أجزاء، وقد بدأ كتابته سنة (١٣٦٠هـ = ١٩٤١م)، وأتمه في سنة (١٣٩٢هـ = ١٩٧٢م).

١٤-سيرة النبي -صلى الله عليه وسلم-: وقد شرع في تأليفه سنة (١٣٩٢هـ = ١٩٧٢م)، وأتمه قبيل وفاته، وهو آخر مؤلفاته.

وفي هذه العنوانات البارزة لمضموناتها تصوير جامع لطاقة فكرية تناولت أسس الحياة الإنسانية في ضوء الإسلام. فالحديث عن الحضارة الإسلامية . في الكتاب الثاني . يتطلب علماً يتسع لأبعاد الحياة البشرية وموقف الإسلام من كل جزء فيها، ولا يقل عن ذلك أهمية تحديد موقف الإسلام من حضارة الغرب، التي يراد فرضها على المجتمعات الإسلامية، ثم عناصر الصمود الإسلامي في وجه التحديات العصرية.. وهكذا نلاحظ من مجموع هذه الأسماء التي اختارها المؤلف لكتبه طابع الشمول الذي يتصف به ذلك العقل الجبار، الذي ترك بصماته عميقة في ثقافة العالم الإسلامي المعاصر.

ولا عجب فقد رأينا من حديث الأستاذ عن مصادره الثقافية ما أقنعنا بأن لديه من نعمة الله وتوفيقه القدرة على معالجة مختلف المشكلات التي تشغل الفكر البشري في هذا الزمن، ومواجهتها بالحلول الشافية المستمدة من كتاب الله الخالد وسنة رسوله الذي علمه ما لم يكن يعلم، وزوده من الحكمة بكل المؤهلات التي تؤكد أنه الرحمة المهداة.

وقد حظيت مؤلفات المودودي بشهرة عريضة في جميع أنحاء العالم ولقيت قبولا واسعًا في قلوب المسلمين في شتى البقاع؛ فترجم الكثير منها إلى العديد من اللغات، حتى بلغ عدد اللغات التي ترجمت مصنفات المودودي إليها ست عشرة لغة، منها: الإنجليزية، والعربية، والألمانية، والفرنسية، والهندية، والبنغالية، والتركية، والسندية...، ونالت استحسان ورضى المسلمين على شتى مستوياتهم واتجاهاتهم.

خلوات مباركات وكرامات.

ومع أن الميزة الأولى لهذه المؤلفات سواء الصغير منها أو الكبير، هي الجدة والعمق والنسق المنطقي، الذي يخاطب عقل القارئ وقلبه جميعاً، فقد لفت انتباهي منها حديث الأستاذ الحامدي عن كتاب «مبادئ الإسلام» الذي يقول أنه ترجم إلى ثلاثين لغة، وصدرت منه ملايين النسخ، وكان من المهتدين به شاب أسباني كتب إلى الأستاذ عقيب قراءته إياه في ترجمته الإسبانية يقول:

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

«إنه كان قد اختار حياة الترهب فما إن اطلع على كتابه هذا حتى أُخِذَ به وانطلق من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان.. لا إيمان الوادع بل إيمان من لا يخلد إلى الراحة حتى يُخضِع الصليب في أسبانية لله الواحد الأحد الصمد» .

ولئن صح ما يقوله الأستاذ الحامدي رواية عن الأستاذ المودودي بأنه قد أتم تأليف هذا الكتاب لإدارة التربية والتعليم في حيدر أباد، خلال أسبوع واحد فقط، فلا أشك أنها كرامة قد قيضها له الله، من نوع تلك الكرامات التي كانت توافي شيخ الإسلام بن تيمية فينتج من الأعمال العلمية في اليوم الواحد ما يعجز الآحاد من العلماء في الأسابيع والأشهر.

ولم يلتق المودودي وابن تيمية على هذا فحسب بل كان بينهما أكثر من جانب مشترك واحد. فقد كان السجن لشيخ الإسلام خلوة تساعده على المزيد من التأمل والإنتاج العلمي؛ وكذلك المودودي إذ بارك الله عليه في سجنه، فقدر له إخراج العديد من الكتب الصالحة، منها كتابه المشهور عن «الربا» و «مسألة ملكية الأرض في الإسلام» كما أتم المجلد الأول من تفسيره الذي يسميه «تفهيم القرآن» في غياهب السجن أيضاً.. وقد شاء الله أن يشاركهما في هذه الفضيلة سيد قطب – رحمه الله–، إذ أتاحت له خلوة السجن أن يكتب أروع مؤلفاته في ظلماته.. وصدق الله القائل في كتابه الكريم: {فَعَسَى أَن تَكْرَهُواْ شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا} [النساء:١٩].

دسائس وأحقاد

كثيرون الذين قبلوا أفكار المودودي كلها عن قناعة لا يعتريها الشك، وفريق آخر رفضها كلها لغير سبب سوى أنها تخالف ما ألفه من تهاويم لا يريد تغييرها، وآخرون تجاوزوا في رفضها حدود الأخلاق، فلم يكتفوا باستنكارها، بل راحوا يؤلفون المفتريات حول صاحبها، ويصدرون الفتاوى بتكفيره، ولا يتورعون أن يقوّلوه ما لم يقل.. وكان بين هؤلاء مشايخ لهم ألقاب علمية، ولهم مؤلفات.. ولكنهم استهوتهم الدنيا فأعلنوا انحيازهم إلى بعض مراكز القوى التي تشن غارات القتل على دعاة الإسلام، وتعمل ليل نهار لمحاربة شريعته.

وفي مقال كتبه السيد زهير الشاويش عن أبي الأعلى المودودي في جريدة اللواء الأردنية يتحدث عن بعض هؤلاء الذين يدينون بكراهية المودودي، ممن ينتسبون إلى العلم في الهند،

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

فينسب إلى أحدهم قوله: «إن المودودي يتكلم في أمور الدين ويفتي الناس وهو لم يتخرج في مدرسة شرعية.. ويتكلم في أمور الدعوة ولم ينتسب إلى طريقة صوفية!».

ويذكر لقاء آخر مع عالم هندي كبير كان أكثر اعتدالاً من ذاك في كراهية المودودي، وقد صرح له بأن المستقبل في الهند وباكستان هو للجماعة الإسلامية بشرط أن تعدل موقفها من السادة العلماء.. وليس له على المودودي من مآخذ سوى عدم التعاون مع العلماء، ويعتبر ذلك منه غروراً يحسن أن يقلع عنه ويقدم الاحترام اللازم لهم !.

ثم يقول: «والظاهر أن المودودي لم يعدل موقفه من هذا الشيخ وأضرابه فقام بتأليف رسالة يكفره بها»

وأنا أيضاً [1] قد لقيت شيوخاً من هؤلاء يحسنون الكلام في كثير من محتويات كتب الفقه والحديث، ويعتبرون كل كلام خارج حدودها نوعاً من التجديف، لأن مؤلفي تلك الكتب قد استوفوا بنظرهم الكلام عن كل شيء.. فإذا ذكر لديهم المودودي لم يحسنوا البيان المقنع، فعمدوا إلى مثل هذا الطعن الذي قرأته في جوانب الشيخ الأول، وقد يخشى بعضهم أن ترد مطاعنه بما يفضح جهله، فإذا هو يكشف عن حسده للمودودي، لانتشار آثاره، ويعبر عن نقمته الشخصية لإعراض المودودي عن أمثاله.

وقد قرأت رسالة هذا الشيخ فلم تزدني به علماً لأني عرفته من قبل واحداً من أعوان الطواغيت الذين يبيعون دينهم بدنيا غيرهم.. بيد أن الذي هالني منها جرأته على تحريف الكلم عن مواضعه، وإقدامه ومن معه على إصدار الفتاوى التي تصل إلى حد التكفير.. بحق الرجل الذي أضاء الله به الظلمات..

وشد ما أضحكني دسائسه على المودودي وتهوين أمره لدى علماء المملكة ورابطة العالم الإسلامي، ظناً منه أنه يحط من مكانته لديهم.. وقد فاته أن مكانة المودودي بناها إخلاصه للحق، وما فتح الله عليه من العلم الذي قدم به الحلول لمشكلات الإنسان في هذا العصر. وما أحكم قدر الله الذي ألهم مقدري فضله في المملكة السعودية أن يمنحوه جائزة الملك فيصل، وما

[1] القائل هو الأستاذ محمد المجذوب ونحن ننقل هذا النقل المبارك مما خطته يده الكريمة (راجع المصادر في نهاية الترجمة)

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

أروع استقبال المودودي لذلك التكريم حين حول الجائزة بأسرها إلى حساب الجماعة الإسلامية، لتنفقها في خدمة الدعوة إلى حقائق الإسلام !!.

الحوار البناء

بقي أن نحدث القارئ عن ذلك الفريق الآخر الذي حفظه الله من نزغات الشيطان، فوقف من الأستاذ المودودي وأفكاره موقف المؤمن الذي يراقب الله في حكمه على الأحداث والأشخاص، فكان نظره إلى أعمال المودودي موزوناً بقسطاس العدل والإنصاف.

لقد وقف هؤلاء على أفكار هذا الرائد المجدد، فاقتنعوا بأكثرها، وأعطوه حقه من التقدير والثناء، ووقفوا من قليلها موقف الغيور الناصح، الذي يرى في هذا القليل بعض الشطط عن الأصول التي التزم بها الأستاذ في بحوثه الأخرى، فكان عملهم نوعاً من التعاون على تأييد الحقيقة التي هي رائد الجميع، ولا جرم أنه اجتهاد مأجور أخطأ أو أصاب.

من هؤلاء الفضلاء المنصفين سماحة الأخ الشيخ أبي الحسن الندوي، صاحب التآليف، التي قلت وأقول إنها مع مؤلفات المودودي، المركب الذي باركه الله ليكون دليل الجيل المسلم المعاصر في مسيرته الجديدة الهادية إن شاء الله.

في كتاب «التفسير السياسي للإسلام» الصادر في رمضان (١٣٩٨هـ) يناقش الأستاذ أبو الحسن الندوي بعض أفكار أخيه المودودي، فيترجم إعجابه الكبير «بمقالاته القيمة التي كان يكتبها في مجلته الغراء (ترجمان القرآن) في نقد الحضارة الغربية ونظام الحياة الغربي، التي تتميز بأسلوبها الهجومي ونقدها اللاذع لحركة التقدمية والتجدد وفكرة القومية المتطرفة، التي نجمت وباضت وفرخت في حضن الثقافة الغربية، وكذلك موضوعات وقضايا في صميم الشريعة الإسلامية.

وسطر قلمه مقالات قوية مؤثرة معضدة بالدلائل أمثال (الربا) (الحجاب) (الجهاد) (الأضحية) (الرق) (حجية الكتاب والسنة) (الأحوال الشخصية) وما إليها من المسائل الهامة ..» حتى ينتهي إلى القول بأنه «سيكون من الإجحاف الكبير إذا لم نوف حقه من الاعتراف بما لعبته مقالاته هذه، ومؤلفاته ووسائله المستقلة من دور رائع في إعادة الثقة إلى الطبقة الذكية المثقفة ثقافة غربية بالإسلام، وبقيمه وتصوراته وفي تخليصها من مركب النقص ونفسية الهزيمة الداخلية حيال الإسلام وتعاليمه، مما جعل بعض الكتاب يدعونه «متكلم الإسلام». أهـ

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

النقد البريء

ومن ثم يقف على بعض النقاط التي يرى شذوذها عن الخط الذي يطريه في كتابات المودودي، فيقول: «إن الأستاذ المودودي من خلالها يمارس عملاً آخر نستطيع أن نسميه «الصياغة الجديدة للفكر الإسلامي» أو «الصياغة الجديدة للإلهيات الإسلامية».

ويشرح ذلك بأنه يعني كتابه «المصطلحات الأربعة في القرآن» الذي فسر فيه تلك المصطلحات تفسيراً خاصاً يتميز بالطابع السياسي، ويدور حول (حاكمية الإله) و (سلطان الرب) يحدد علاقة العبد بربه في حدود (تأسيس الحكم الإسلامي) و (إقامة الحكومة الإلهية) فحسب.

والمصطلحات الأربعة التي يدور حولها كتاب الأستاذ المودودي هي: الإله والرب والدين والعبادة، وخلاصة ما ذهب إليه بشأنها هي أنها المحور الذي يدور الكيان الإسلامي كله، وأن مفهومها الصريح الواضح في الحقب الأولى قد تغير في تصور المسلمين اللاحقين تغيراً أفقدها روحها وفاعليتها.. حتى باتت العقيدة في الألوهية والربوبية محدودة الأثر في حياة جماهير الأمة، بل أقرب إلى الموت، لا تحرك ساكناً لتنفيذ شريعة الله، وبذلك استحالت العبادة حركات لا مردود لها في نطاق الطاعة الواجبة لأوامر الله ونواهيه.

فالمسلم في عبادته الخالية من روح الوعي لحقائق الإسلام والعمل بها شأنه كشأن الخادم الذي يكتفي من تعظيم مخدومه بترديد اسمه والقيام بين يديه دون أن يقوم بتنفيذ أي من تعليماته الحاسمة.. وفي تمثيل آخر يشبهه بالمريض الذي كتب له الطبيب الحاذق وصفة شافية، لكنه بدلاً من استعماله الدواء الموصوف اكتفى بقراءة الوصفة وترديد كلماتها.

ولكي يتم القيام بمضمون المصطلحات الأربعة بنظر المودودي لا بد من الجمع بين التلبس بالعقيدة السليمة في الألوهية والربوبية والتزام العبادة الحقة مع النهوض بواجب التنفيذ لأوامر الله، التي في رأسها السعي لإقامة حكم الله في الأرض، وإزالة ظلمات الشرك عن عباده.. حتى ليجعل أركان الإسلام الأربعة بعد الشهادتين.. مقررات تدريبية لتحقيق ذلك الهدف.

ومأخذ سماحة الشيخ أبي الحسن الندوي على هذه الأفكار المتحدة عند المودودي وسيد قطب، أنها تفرغ العبادة من صفتي الذل والحب التي يقرر شيخ الإسلام ابن تيمية أنها . العبادة . «تتضمن معنى الذل ومعنى الحب إذ تتضمن غاية الذل لله تعالى بغاية المحبة له» وهو مأخذ لا

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

مندوحة من النظر إليه، لأن تجربة المؤمن الذاتية، بل اليومية، تؤكد له أن علاقته بربه قائمة على الرغبة والرهبة، وأن ثمة لحظات من التجلي تمر به فتغمره بحبه، حتى ليكاد يذهل في غمار نشوتها عن كل معاني الرهبوت والجبروت.

ولكن كيف فاتت عقل المودودي البعيد الغور هذه الحقيقة؟ ألم يحسها في ذاته قط ؟! أولم يلاحظها في والده الذي آثرها على متاع الدنيا كله ؟!!.

والكلام عن الحب متصل حتماً بموضوع التصوف السليم [٢] الذي لا يزال بصاحبه حتى تصفو روحه من كدورات الأرض فتتألق بوهج الحب الأعلى.

التصوف بين الخير والشر

والحق أن للأستاذ المودودي رأياً جميلاً في هذا النوع من التصوف، الذي لا يتجاوز سبيل المجاهدة لنوازع النفوس، ورياضتها على حب الله وطاعته، للتحقيق بالتزكية التي قرن الله بها فلاح المؤمن في سورة الشمس. فإذا تعرض للتصوف بالنقد فإنما يريد به ذلك الذي يشاهده في بعض مدعيه من الذين يتولون تخدير الأتباع بقطعهم عن الاهتمام بشئون الدنيا، حتى يصبح التصوف بهذا الضرب من السلوك عبارة عن مدرسة مهمتها تخريج الكسالى وأحلاس البطالة.

حتى والده.. ذلك الرجل الطيب النظيف.. ألم يدع الدراسة العصرية خوفاً من تلويث عقله بثقافة الإنجليز؟!. ثم ألم يرفض عمله في المحاماة حفاظاً على دينه من الانحراف إلى غير طريق العدالة؟!.

وماذا نتج عن هذه السلبية سوى البؤس والحرمان وتعريض الأسرة كلها للتعاسة والشقاء !!.

إن الثقافة العصرية ضرورة لا بد منها لحماية الإسلام من طغيان أهلها، وقد كان على والد المودودي أن يحصن قلبه بما ثقفه من العلوم الإسلامية إلى جانب تلك الروافد الأجنبية، فتكون له قوة لخدمة دينه وأمته كما فعل ولده النابغة !.

---

[٢] مصطلح (التصوف) مصطلح حادث لم يعرفه سلف الأمة وارتبط في غالب أستخداماته بخرافات وبدع ما أنزل الله بها من سلطان، فلا داعي أبدا وصف بالسليم أو العليل فالخير اتباع من سلف

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

وكذلك المحاماة، فإذا كانت مشبوهة السلوك لدى المستهترين من معظم أهلها، فلم لا يرفعها عن حضيضهم، فلا يدافع إلا عن حق، ولا يجابه إلا الباطل، وبذلك يخدم الإسلام من خلال المحاماة، إذ تكون استقامته في مهنته بمثابة الدعوة إلى ملته !!.

ومهما نختلف في موضوع التصوف فالاتفاق واقع على أنه ليس لوناً واحداً، وليس أصحابه على سواء.. وأي منا لا يعلم أن كثيرين من رجال التصوف المستقيم قد نهضوا بالعظيم من إحياء الجهاد في سبيل الله، كما نعلم أن كثيرين من مدعي التصوف قد سخروا ويسخرون طاقاتهم وأتباعهم لخدمة الطواغيت، فيعطون بذلك الحجة المريبة لأعداء الإسلام.

وأي مؤمن سليم الرؤية ينكر على الأستاذ المودودي قوله عن غلاة الطرقيين في كتابه (واجب الشباب المسلم):

«وإن تعجب فعجب حال الصوفية فلا تجد بينهم من عمل بالإسلام الحقيقي وعلمه إلا عدداً يسيراً، وأما معظمهم فكانوا يدعون إلى تصوف مزاجه الفلسفات الإشراقية والمانوية والرواقية، التي اختلطت بالتصوف حتى لم تبق له علاقة مع عقائد الإسلام وأعماله الخالصة إلا القليل...»

وهل نحن بحاجة إلى التذكير برواسب هذا المزيج الهندي الفارسي واليوناني، في مذاهب أولئك الطرقيين، الذين شحنوا أذهان مريديهم بأفكار الحلاج وابن عربي والتجاني والجيلي، والعشرات من أمثالهم، الذين أصبحوا قادة السواد الأعظم من عامة المسلمين... وأصبحت أضاليلهم أعمق أثراً في قلوبهم من كلام الله ورسوله والأئمة من علماء الإسلام !!.

أما ذلك العدد اليسير من أهل الرياضة النفسية الزكية المستقيمة على طريق الوحي. فقد رأى سماحة الشيخ أبي الحسن مدى تقدير أخيه لهم فيما نقله من كلامه عنهم.. فهم موضع احترامه وتكريمه، ولكن هذا لم يمنعه من التوكيد على أن الإقبال حتى على هذا الضرب من التصوف النقي لا يتفق مع مصلحة الإسلام في الظروف الراهنة، فهو بنظره كالماء الذي استيقن المريض ضرره، فيجب عليه تركه على الرغم من إباحته الأصلية وقديماً قال الحكماء «الحكم في الشيء فرع من تصوره» ولاجرم: أن لقسوة الإمام على بعض المتصوفة صلة وثيقة بواقعهم الذي نشهده في كل مكان من بلاد العرب والإسلام، إلا ما رحم الله وقليل ما هم.

تعاون لا تشاحن

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

وهكذا القول في تركيز الإمامين المودودي وسيد قطب على الجانب السياسي من موضوع المصطلحات الأربعة، لا يكفي النظر إليه في معزل عن الواقع الرهيب، الذي يعانيه الإسلام تحت سلطان الحكومات الجاهلية، التي لا تدخر وسعاً في تحطيم الطاقات الإسلامية بالقتل والتعذيب، واختراع التهم الباطلة لتشويه سمعة رجال الدعوة .. فذلك هو الذي استقطب تفكيرهما إلى موضوع الحكم حتى أغفلهما عن ناحيتي الحب والذل، اللتين لا كمال لعبادة المسلم بدونهما. وأحسب سماحة الشيخ أبي الحسن – رحمه الله– لو راجع ذاكرته لوجد في معلوماته عن مؤلفاتهما . خارج المعا لم والمصطلحات . ما يؤكد أنهما على رأيه في موضوع الحب والذل.

وعلى ضوء هذا التصور يغدو موضوع الخلاف بين أبي الحسن الندوي وأخويه لا يزيد عن كونه خلافاً لفظياً، واختلاف الرأي.. لا يفسد للود قضية كما يقول شوقي.

ونحن على أتم الثقة بأن نقد أبي الحسن للمودودي وقطب لا يعدو أن يكون كما أسلفنا نوعاً من التعاون على البر والتقوى، فالأجر مضمون على كل حال إن شاء الله.

وقد رأينا الأستاذ أبا الأعلى . أعلى الله مكانه في الجنة . يولي نقد أخيه أبي الحسن كل تقدير، ويوجه إليه أطيب الثناء. وذلك من منطلق إيمانه بالشورى التي تجعله رحب الصدر لكل نقد بناء، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء.

كلمة أخيرة

يقول د. محمد المجذوب: بقيت نقطتان من موضوع هذا الخلاف أرى من الخير إيضاح غامضهما.

إحدى النقطتين تفسير الشيخ أبي الحسن لكلام المودودي بشأن مفهوم الأمة لمعاني المصطلحات القرآنية الأربعة عقيب الصدر الأول.

فالشيخ يرى في كلام أخيه عن هذه المصطلحات تعميماً يتهم بجهلها طبقات الأمة كلها.. والذي نراه أن الأستاذ المودودي إنما أراد بوصفه ذاك سواد الأمة دون أئمة العلم فيها، وهي قوله الحق، لأن كثرة المسلمين شغلت عن تلك المعاني العلوية بالزلازل التي خضت بها الأرض، وبالتطورات الاجتماعية والثقافية التي غزتها من كل جانب، فعزلتها عن حقائق دينها، حتى كان أكبر هم العلماء الأعلام ضبط مسيرة الشعوب الإسلامية في نطاق الأصول التي تحفظ عليهم انتمائهم العام.

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

وقد رأينا سماحة الشيخ كذلك يكاد يجزم باستمرار توافر العلم الجامع المانع لآيات الكتاب المبين، مع أنه يعلم أن بين كبار رجال علماء الإسلام من تعذر عليه أن ينفذ إلى أبعاد الكثير منها، فاضطربت رؤيته حتى أنكر ما يعتبر اليوم من بديهيات الأمور. فهو مصر مثلاً على أن الأرض ساكنة لا تدور، مع أنه يقرأ في كتاب الله ذكر الأرض قبل كل آية أخبر الله سبحانه عن حركة الشمس والقمر بقوله الحق:{كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ} (سورة الأنبياء وسورة ياسين)، وهو كذلك متشبث بالظن أن الكواكب من متعلقات السماء الدنيا، حتى بعد أن هبط الكفار على سطح القمر، وأرسلوا مكتشفاتهم الصناعية باتجاه المريخ والزهرة وزحل!.

ويفهم كذلك من كلام سماحته . ص ٤٠ . أن القول بخفاء معاني بعض الآيات ينافي إخباره تعالى بحفظه القرآن لأن «الوعد بالحفظ في موضع الامتنان وتذكير الفضل والإحسان يستوجب الفهم والشرح» وعندي أن هذا التقرير خارج حدود المحكمات من آيات الأحكام يتنافى مع قوله تعالى آخر سورة «فصلت»: {سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ} [فصلت:٥٣] وهو إخبار صريح بأن في القرآن أسراراً يعجز العقل عن الإحاطة بها إلا على ضوء الكشوف العلمية، التي تبرز كل يوم جديداً من كنوز هذا الكتاب الذي لا تنفد عجائبه.

وما أحكم قول القائل:

وكل العلم في القرآن لكن تقاصر عنه أفهام الرجال

أما النقطة الثانية فحول رأي الشيخين المودودي وقطب عن مفهوم العبادة والحكم في المصطلحات الأربعة. وقد رأيت أن أعرض لرؤيتي في الموضوع فإن كان صواباً فمن توفيق الله، وإلا فمن نفسي وأستغفر الله.

١ . يقرر ربنا تبارك اسمه أن الغاية من خلقه الثقلين إنما هي عبادته وحده، فيفهم من ذلك أن كل حركة وسكنة من وجودهما داخلة في نطاق العبادة، ولكي تكون العبادة مقبولة وموافقة للحكمة التي تحدد غاية الخلق يجب أن تكون خالصة لله ومنسجمة مع الوحي الإلهي. أي كما يقول الفضيل بن عياض يجب أن تجمع بين الإخلاص والصواب.

وإذن فلن تكون العبادة قاصرة على أركان الإسلام الخمسة، ولا على أركان الإيمان الستة، بل شاملة لكل عمل يأتيه المؤمن وحسبنا أن نتذكر هنا قوله –صلى الله عليه وسلم– عن الإيمان

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

أنه «**بضع وسبعون شعبة أعلاها شهادة أن لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق...** » فإماطتك الأذى عن الطريق رغبة في مرضاة الله من فروع الإيمان ولا عبادة بغير الإيمان.

٢ . ويزيد ذلك إيضاحاً قول ربنا تبارك اسمه لنبيه: {قُلْ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ}[الأنعام:١٦٢] وهو خطاب يعم الرسول –صلى الله عليه وسلم– والأمة كلها من ورائه، فيعلمهم أن وجودهم كله ينبغي أن يكون في الاتجاه الذي يحبه الله، يستوي في ذلك أنواع العبادات المحضة، والأعمال العامة، التي تتحول بنية الطاعة إلى عبادة.

٣ . أن الله جل ثناؤه يقرن نصره لعباده بطاعتهم إياه فيقول: {الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيراً وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ{٤٠} الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ} [الحج:٤٠-٤١] ونصر العبد لربه إنما هو استغراقه في طاعته، حتى يكون ذلك الرباني الذي ينسجم وجوده كله مع مرضاة ربه، كما ورد وصفه في صحيح البخاري، يقول –صلى الله عليه وسلم– عن ربه: «.. **وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها. وإن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه** » [٣].

فهذا العبد السعيد لم يكتف بالفرائض حتى ضم إليها النوافل، فهو يتتبع في عمله كل ما يقربه إلى الله. وفي فتح الباري نقول كثيرة في شرح هذا الحديث، ومن أجملها قول بعضهم: «لا تتحرك له جارحة إلا في الله ولله، فهي كلها تعمل بالحق وللحق» ومن هنا كان استحقاقه للإجابة والإعاذة، وهما مفتاح النصر الذي وعد الله به ناصريه.

ونظرة أخيرة إلى عاقبة هذا النوع من الطاعات تؤكد لنا أن إقامة حكم الله في الأرض لقيادة الإنسانية إلى السبيل الأقوم، ولحمايتها من الانحراف السالب للأمن والعدالة والكرامة، حقيقة بأن تكون هي غاية العبادة بمعناها الشامل لكل تصرفات المؤمن.. أو على الأقل لا يعتبر القائل بذلك مجانباً لسبيل المؤمنين.

---

[٣] البخاري (٦٠٢١)

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

ونحن لا نستطيع استيعاب هذه القضية على الوجه الصحيح ما لم نستحضر واقع الإسلام في ظل الجاهليات القديمة والحديثة، والخطر الهائل الذي يهدد الإسلام والمسلمين بالزوال، إذا لم يكن لهم الكيان الذي تحكمه شريعة القرآن، على النحو الذي تصوره الآية الكريمة التي نحن بصددها.. فأنا إذن مع الإمامين المودودي وسيد في تركيزهما على موضوع الحكم، ولكني لا أعتبر حديثي هذا رداً ولا نقاشاً للشيخين الأعزين الهضيبي تغمده الله برحمته، وأبي الحسن.. ولكنه حوار أخوي أرجو عليه من الله العذر والأجر.

والحمد لله رب العالمين، الذي جعل كتابه المبين حجته العظمى إلى يوم الدين.. وإياه نسأل أن ينفعنا بجهود المودودي وسيد وأبي الحسن وإخوانهم أجمعين، وأن يجزيهم عن الإسلام والمسلمين خير ما يستحقه من فضله المصلحون المخلصون.

سمات الفكر المودودي

يقول الشيخ القرضاوي: وهنا قدر الله تعالى أن يظهر المودودي بفكره التجديدي الأصيل، يعرض الإسلام كما أنزله الله، لا كما يشتهيه الناس.. الإسلام كما هو، وبما هو. لا يعتسف في تأويل، ولا يلجأ إلى تبرير، ولا يعتذر عن حكم جاء به الوحي، وصح نسبه إلى الإسلام، ولا يقيم معركة بين العقل والوحي. بل يجعل العقل في خدمة الوحي، فهما وبيانا وتعليلا.

١ – الالتزام بالإسلام كل الإسلام:

لم يكن إسلام المودودي . الذي جند نفسه لتجديده . إسلام الجامدين من مقلدة المذاهب الذين رفضوا الاجتهاد والتجديد، ولم يعرفوا العلم إلا في كتب المتأخرين من علماء المذهب وما عدا ذلك فهو مردود.

ولم يكن إسلامه إسلام خصومهم الذين رفضوا المذهبية، ولكنهم وقعوا أسرى الشكلية والحرفية واللفظية، ولم تتسع آفاقهم لتفهم مقاصد الشريعة، واستيعاب روح الإسلام، وهم الذين سميتهم (الظاهرية الجدد) الذين نصبوا معركة بين النصوص الجزئية والمقاصد الكلية للشريعة.

ولم يكن إسلامه إسلام خصوم هؤلاء وأولئك من المخرفين من أتباع التصوف المنحرف الذين أفسدوا العقائد بالخرافات، وأفسدوا العبادة بالمبتدعات، وأفسدوا الأفكار والسلوك بالتربية السلبية التي تجعل المريد بين يدي الشيخ كالميت بين يدي الغاسل.

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

ولم يكن إسلامه إسلام دعاة العصرية من عبّاد الحضارة الغربية وعبيد الفكر الغربي، الذين غيروا قبلتهم من مكة إلى أوربة، وأرادوا أن يجعلوا من الإسلام ذيلا لحضارتها.

كان إسلام المودودي الذي يدعو إليه إسلاما خالصا لا يقبل الشركة ولا تشوبه شائبة، فلم يقبل في يوم من الأيام أن يشوبه باشتراكية أو ديمقراطية أو قومية. فلكل من هذه الدعوات وجهتها ومحتواها وغاياتها ووسائلها الخاصة. أما الإسلام فهو نسيج وحده، سابق عليها، متميز عنها بمضمونه، وأهدافه ووسائله، ويكفي أنها تمثل قصور البشر، وأهواء البشر، وهو يمثل كمال الله، وعدل الله: {صِبْغَةَ اللّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدونَ} [البقرة:١٣٨].

كان إسلام المودودي إسلاما شاملا، لا يقتصر على العقيدة وإن كانت هي أساس البناء، ومنها انطلق إلى نظرياته السياسية وغيرها. ولا يقف عند حد العبادة الشعائرية، بل ينطلق منها إلى جعل الدين كله عبادة كما ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية من قبله.

لا يكتفي بالأخلاق، على الرغم من منزلتها في الدين: «**إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق**» [٤]. إنما الإسلام عنده (نظام كامل للحياة) فهو نظام عبادي، ونظام خلقي، ونظام اجتماعي، ونظام اقتصادي، ونظام سياسي. وقد وضح ذلك في رسائله وكتبه، ومنها رسالة «نظام الحياة في الإسلام».

هذه هي المزية الأولى لفكر المودودي: إنه ملتزم بالإسلام كل الإسلام بلا تنازل ولا مساومة.

٢ – المعاصرة:

وكانت المزية الثانية لفكر المودودي: أنه ينظر إلى الإسلام بعين، وإلى العصر بأخرى، فهو لا يعيش في الماضي معزولا عن الحاضر، بل يخاطب العقل المعاصر بلغته، ويحاجه بمنطقه، ويلزمه بمقتضى مسلماته الفكرية والعلمية. وهذا شأن الداعية الموفق الذي فقه معنى البيان في قوله تعالى: {وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ} [إبراهيم: ٤].

---

[٤] سنن البيهقي الكبرى ج١٠ ص ١٩٢

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

وقد آتاه الله موهبة (التأصيل) و(التنظير) فهو ينظم الحبات المتناثرة في سلك يجعل منها عقدا، ويرد الجزئيات إلى الكليات، والفروع إلى الأصول، بحيث يستخرج منها الفكرة الكلية للإسلام أو ما يسمى (النظرية الإسلامية).

والذي يقرأ كتب المودودي ورسائله ومحاضراته يستبين بوضوح: أن الرجل يعيش في عصره، مطلع على مشكلاته، خبير بما يمور في مجتمعه من تيارات، مطلع على الحضارة الجديدة الغازية، وما تبهر به الجيل الجديد من إنجازات، بصير بما وراء مظهرها البراق من مخبر خبيث، فهو قارئ متعمق لمصادرها، مدرك جيد للأسس الفكرية والفلسفية والمعنوية لهذه الحضارة، واع لخصائصها ومشخصاتها، متبيّن لأمراضها وآفاقها، لا يخدعه العرض عن الجوهر، ولا الشكل عن المضمون، ولا ما تزدان به السطوح عما يجري في الأعماق.

٣- المواجهة:

لم يسلك المودودي سبيل (المعتذرين) عن الإسلام، أو (المحامين) الذين تصوروه داخل قفص الاتهام ثم تولوا الدفاع عنه، أمام هجمات الحضارة الغربية ودعاتها من ليبراليين واشتراكيين.

أجل، لم يكن المودودي يوما في موقف الدفاع أو الاعتذار، أمام الحضارة الوافدة، والأفكار الدخيلة، والتيارات المنحرفة، بل كان موقفه المواجهة والهجوم. ولم يرعه هذا (الصنم الكبير) الذي وقف تجاهه الكثيرون مبهورين، وخر أمامه آخرون ساجدين، وهو صنم (الحضارة الغربية) التي بلغت أوجها بالتفوق العلمي والتكنولوجي.

فقد كان معتزا بإسلامه غاية الاعتزاز، مؤمنا بتفوق رسالته كل الإيمان، وكان أساس إيمانه أن ما وضعه المخلوق ـ بما فيه من قصور ذاتي وهوى غالب ـ لا يمكن أن يرقى إلى ما شرعه الخالق ـ الذي وسعت كل الخلق رحمته، ووسع كل شيء علمه: { أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ}[الملك: ١٤].

وكان ـ كما ذكرنا ـ على معرفة كافية بعيوب الحضارة الغربية، ونقاط الضعف فيها، ومواضع الخلاف فيها لرسالة الإسلام، ولا غرو أن شن حملته على تلك الحضارة، ونقدها نقدا علميا أظهر عوارها، وكان أقدر من تصدوا لهذه المهمة الجليلة: مهمة إعادة الثقة بالإسلام في مواجهة الحضارة الغربية، وكان أحق بها وأهلها.

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

نقد الحضارة الغربية بقوة في (جانبها الاجتماعي) حين أصدر كتابه: (الحجاب) مبينا فيه فلسفة الإسلام في الاحتشام، ونظرته إلى المرأة والأسرة، التي تخالف جذريا نظرة الحضارة الغربية.

ونقد الحضارة الغربية بقوة في (جانبها الاقتصادي) حين ألف كتابه في (الربا) الذي يعتبر عصب النظام الرأسمالي الذي قامت عليه المدنية الغربية، وبين الحكمة من وراء تحريم الإسلام للربا إلى حد أن آذن القرآن فاعله بحرب من الله ورسوله.

كما بين من ناحية أخرى مزايا النظام الإسلامي في الاقتصاد، وكيف حل معضلاته في يسر، ووضع الأسس العادلة لحياة اقتصادية طيبة كما ظهر ذلك في رسالتَيّ: (معضلات الاقتصاد وحلها في الإسلام) و(أسس الاقتصاد في الإسلام مقارنا بالنظم المعاصرة).

وكذلك نقد المودودي الحضارة الغربية في جانبها السياسي، وإن رأى الكثيرون أنه أفضل جوانبها، لما وفرت فيه للفرد من حريات، وما حمت من حقوق وحرمات.

ربما كان عيب المودودي في هذه المواجهة: أنه ـ مبالغة منه في الحفاظ على هوية الأمة، وخصائص حضارتها، ومقومات رسالتها ـ اتخذ خط التشدد مع الحضارة الوافدة، ولم يسمح لنفسه بأي قدر من الملاينة والمرونة، كما فعل آخرون.

فرأيناه في الجانب الاجتماعي (في الحجاب): يوجب النقاب، ولا يكتفي بضرب الخُمُر على الجيوب، بل يُلزم بتغطية الوجوه، حتى إنه لم يجز كشفها للعم والخال.

وفي الجانب الاقتصادي: لم يتبن ما تبناه دعاة آخرون من اتجاهات تتعلق بالعدالة الاجتماعية، والنزعة الاشتراكية، كما فعل الشيخ مصطفى السباعي في (اشتراكية الإسلام) وكما فعل الشيخ الغزالي في (الإسلام والمناهج الاشتراكية).

وفي الجانب السياسي: رفض الديمقراطية، وانتقدها انتقادا حارا، لأنه نظر إلى جذورها الفلسفية، واعتبرها حكما للشعب في مقابلة حكم الله، ولم ينظر إليها كما نظرت إليها في كتبي ودراساتي، حيث أخذنا منه: ضماناتها ووسائلها وآلياتها في اختيار الحاكم وأهل الحل والعقد ومحاسبتهم وإسقاطهم عند اللزوم، واعتبار الديمقراطية حكم الشعب في مقابلة حكم الفرد، فجوهر الديمقراطية هو أن تكون السلطة للأمة لا للحكومة، والديمقراطية في المجتمع المسلم مقيدة بأن تكون السيادة للشريعة.

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

وفي مواجهة العلامة المودودي للحضارة: حدد النقاط الأساسية التي تخالف فيها الحضارة الغربية حضارتنا الإسلامية، وهي:

١ – العلمانية.

٢ – القومية.

٣ – الديمقراطية.

وتحدث عن كل منها حديثا مستفيضا [٥]

المودودي مصلحا وداعية للتغيير

ليس بالضرورة كل مفكر مصلحا، فمن المفكرين من يغلب عليهم (التجريد) والإغراق في (النظريات) أو القضايا الجدلية، دون اهتمام كاف بالمجتمع وإصلاحه.

والفكر الإصلاحي هو الذي يهتم بالمجتمع ومشكلاته وجذورها، فيعرف فيه مكامن الداء، ويعرف كيف يصف له الدواء.

والمفكر المصلح، هو في الواقع طبيب اجتماعي، ينفذ بعين بصيرته إلى حقيقة أدواء الأمة، ولا يكتفي بالنظر إلى الأعراض، دون أن يتعمق في معرفة الأسباب، والغوص إلى الأعماق، فإذا عرف حقيقة المرض لم يجعل دواءه مجرد مراهم تعالج السطح الخارجي، دون اجتثاث الجرثومة الداخلية، أو تصف مسكنات تخفف الألم برهة من الزمن، ولا تستأصل الداء من جذوره.

وكان المودودي هنا طبيا نطاسيا لأمته، عرف حقيقة دائها وجرثومته الأصلية وحددها في كلمة واحدة هي: الجاهلية. بل هذه في نظره هي داء البشرية على مدار التاريخ. وما بعث الرسل إلا ليقتلعوا هذه الجرثومة من جذعها. سواء كانت جاهلية الجحود والإلحاد . وهي الجاهلية المحضة . أم جاهلية الشرك والخرافة. وهو صنو الأولى، والتي بعث الله رسله لاقتلاعها. أم جاهلية الرهبانية والحرمان.

وبين المودودي أن هناك صراعا تاريخيا دائما . كان وسيظل أبدا . بين الإسلام . دين الأنبياء جميعا، أي الإسلام بمعناه العام . وبين الجاهلية بكل معانيها. وأن مهمة المجدد الحقيقي: انتزاع القيادة من يد الجاهلية.

---

[٥] مع أئمة التجديد ورؤاهم في الفكر والإصلاح الشيخ القرضاوي

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

فالجاهلية ليست مرحلة زمنية انتهت بظهور الإسلام، كما يظن الكثيرون. بل هي أفكار ومشاعر وأوضاع ذات سمات معينة، فإذا وجدت وجدت الجاهلية ولو لبست أزهى الثياب. وعلامتها المميزة: البعد عن هداية الله، وحكم الله: {أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللّهِ حُكْماً لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ} [المائدة: ٥٠].

لم تكن الفكرة الإصلاحية عند المودودي فكرة جزئية ترقيعية، تبقي الأوضاع الجاهلية المستوردة على ما هي عليه، مكتفية بإدخال تعديلات تخفف من غلوائها، وتقربها من الإسلام، وتقف بالأمة المسلمة في منتصف الطريق.

كلا. لم يقبل المودودي الصلح مع الجاهلية، ولم يرض معها بأنصاف الحلول، أو اللقاء في منتصف الطريق.

بل كانت فكرته تهدف إلى التغيير الكلي، التغيير من الجذور، أي تغيير الفلسفة والأفكار والقيم والمعايير، قبل تغيير القوانين واللوائح.

أجل، كانت فكرته في الإصلاح (فكرة انقلابية) أو (ثورية) تهدف إلى تغيير المجتمع من جذوره، بعد هدم صروح الجاهلية من أساسها، لتبنى على أنقاضها حياة إسلامية متكاملة، حياة توجهها . فكريا . مفاهيم الإسلام، وتزكيها . روحيا . عبادات الإسلام. وتحكمها . قانونيا . شريعة الإسلام، وتحركها . عاطفيا . دعوة الإسلام، ومشاعر الإسلام. تضبطها . سلوكيا . أخلاق الإسلام، وقيم الإسلام، وآداب الإسلام.

وكان من رسائله الشهيرة: رسالة (منهاج الانقلاب الإسلامي) الذي نقل إلى العربية في الأربعينيات من القرن العشرين. [٦]

منهجية التجديد عند أبي الأعلى المودودي

لقد كان عبقرية فذَّة ونموذجًا متميزًا بين كثير من الدعاة، يحدِّث الناس باللغة التي يفهمونها، ويقدم لهم الإسلام واضحًا ناصعًا نقيًّا، كما فهمه من خلال اطِّلاعه الواسع الشامل لسائر ألوان المعارف والعلوم الإسلامية، وبذكاء الدارس الحصيف لثقافات الغرب وحضارته، المقارن بينها وبين الإسلام الذي جاء ليبقى المتفوق على سائر الثقافات والحضارات عبر الدهور، وهذا ما يستنتجه

[٦] مع أئمة التجديد ورؤاهم في الفكر والإصلاح الشيخ القرضاوي

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

الدارس لكتبه، والتي بلغت ما بلغت كثرةً وعمقًا وشمولًا لشتى مناحي الفكر والتي جعلت منه مفكرًا عالميًّا، وأحد أبرز قادة الفكر والدعوة والإصلاح في العصر الحديث، ويكفي أن نعلم أن للمودودي أكثر من مائة وأربعين كتابًا وأكثر من ألف خطاب، تُرجِم منها الكثير إلى عدة لغات، وكانت زادًا للمفكرين والدعاة من رجال الصحوة الإسلامية ومارست تأثيرها عليهم حيث كانوا في هذا العالم الفسيح.

فكيف صاغ المودودي نظريتَه في التجديد الإسلامي؟ وما هي الأسس والأبعاد الفكرية التي تستند إليها منهجيته في التجديد؟ وإلى أي مدى استطاع أن يسهم في ترشيد وإنجاح تجربة التجديد الإسلامي في الهند وباكستان؟ ومن ثم المساهمة في ترشيد حركة التجديد الحديثة في العالم الإسلامي، وما هي أهم الإضافات النظرية والعملية التي قدمها؟

هذه الأسئلة وغيرها سعت الباحثة الجزائرية سهيلة علاوة عظيمي في كتابها «منهجية التجديد عند المودودي» الذي صدر حديثًا في دمشق بسوريا للإجابة عنها من خلال رؤية موضوعية، وحيادية فكرية، فالمودودي من القلائل الذين صنعوا التاريخ، ووقفوا في وجه حركة الإبادة الثقافية التي مارسها الاستعمار الإنجليزي وأعوانه لتغريب المجتمع المسلم في الهند وزعزعة استقراره، كما سعت الكاتبة أيضًا إلى تبيان أهمية دعوته، فعرضت للأبعاد الفكرية للتجديد عنده في الإطار المرجعي الموجَّه مبينةً كيف كان الإسلام أساس عمله وتحديدًا النص القرآني والسنة النبوية والتاريخ الإسلامي، كما أشارت إلى مدى استيعاب المودودي للواقع الإنساني عارضة لموقفه الفقهي وآليات تعامله معه بكل مكوناته وكذلك موقفه من الحضارة الغربية.

في البداية تحدثت المؤلفة عن الأبعاد الفكرية للتجديد عند المودودي، فرأت أن المودودي عمِل على بيان ضرورة الوحي في التوجيه، من أجل إعادة الثقة إلى أفراد الأمة في مرجعيتها، وكذلك ترشيد الفكر الآخر غير المسلم ومحاولة التأثير فيه.

وأول ما تناوله هو نقده لأصول الفلسفة المادية وتحليلها لتوجيه الفكر الإنساني، وتحديد الموقف الإيجابي الموضوعي منها، ومن ثم حصول التمييز بين الضابط منها وغير الضابط، فالحضارة عنده تُقام على تصور الحياة الدنيا، غاية الحياة، العقائد والأفكار الأساسية، تربية الأفراد، والنظام الاجتماعي، حيث تقاس قيمة الفعل الحضاري بهذه الأصول.

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

وفي نقده للأطر الوضعية المنشئة لأصول الفلسفات المادية، يرى أن النظام الذي يخرج البشرية من أزماتها الفكرية لا بدَّ وأن يبنَى على مبادئ وقواعد ثابتة، يخدم الوحدة الإنسانية ويخدم الأصول الضابطة للفكر الإنساني، تجاهَ مسائل الكون، ويضع الخطوط العريضة لفلسفة الحياة البشرية، ويستجيب للمتطلبات الفطرية استجابةً منطقيةً، تضمن للأفراد التوازن والأمن والطمأنينة، ولا شك في أن هذا النظام لا يمكن أن يتأتَّى للبشرية إلا إذا كان على علم بحقيقتها، وعلى معرفة تامة بجميع الحقائق المتَّصِلة بها، بحيث يتمكن الإنسان من خلاله من مسايرة أوضاع الحياة، والتكيُّف مع معضلاتها دون تعثر، وفي هذا الإطار يشير المودودي إلى الوسائل التي يجب على الإنسان امتلاكُها لاستنباط دينه ومنهج حياته وهي الهوى أو الشهوة النفسانية، والعقل، والتجربة والمشاهدة، وأخيرًا السجلّ التاريخي للتجارب الماضية، وهذه الوسائل لا تحقِّق غايتها دون العودة إلى القاعدة الهامة المتمثلة في الوحي لاستلهام التوجيهِ الحقيقي من أجل إعادة إحداث الاتزان في مسار الأمة تسديدًا وترشيدًا، والتأثير الإيجابي في الواقع الإنسانيّ، داعيًا إلى التجديد، ومن منطلق الربط بين الأصالة والمعاصرة ليكون التغيير مسايرًا لروح العصر، ساعيًا لتحقيق مقاصد الشريعة، ويتعلق التجديد كذلك، حسب المودودي بمناضلة القوة السياسية الناهضة لاستئصال الإسلام، وإحياء النظام الإسلامي عامة كقوة مؤثرة، وذات فعل حضاري وقيادي بارز على المستوى العالمي، ابتداء من القطرية إلى العالمية، وبناءً على هذا تعرَّض المودودي بالشرح للأوضاع الحاضرة، وما تستند إليه من الأسباب والعلل التاريخية، وعمل على وضع برنامج عملي لإصلاح باكستان، يقوم على التوجيهِ الفكري الأصيل للارتباط بحقيقة الإسلام، ومذهبيته في الكون والإنسان والمجتمع، والعمل على استخلاص الأفراد الصالحين وتعهُّدهم بالتربية، لمباشرة العمل الإصلاحي في إطار التنظيم الجماعي، والسعي في الإصلاح الاجتماعي في مختلَف المستويات، وإصلاح أجزاء الحكم والإدارة، الذي يأتي التركيز عليه نظرًا لدورِه الكبيرِ في تسريع عملية التجديد.

ويمكن اعتبارُ هذه المعالم بمثابة نظرية المودودي العامة في التجديد، والتي استخلصها من خلال اتصاله المباشر بالقرآن الكريم والسنة النبوية؛ إذ يقول: لقد حاولت دائمًا أن أفهم الدين، لا من خلال رجالات الماضي أو الحاضر، بل من خلال القرآن والسنة.

ثم تحدثت المؤلفة عن منهجية التجديد الإسلامي التي خطَّها المودودي، فبيَّنت أنه كان يرى أن العمل التجديدي يتطلب أن يكون من بين أهدافه الأولى ترشيد مسيرة المجتمع أو البيئة التي

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

يعيش فيها المجدّد، بعد تشخيص أمراضها تشخيصًا صحيحًا، وتبين مكامن الانحراف ومبلغ نفوذه في مختلف المستويات.

وإن استيعاب المودودي حقيقة الإسلام، وإحاطته بالواقع الإنساني –لا سيَّما في شبه القارة الهندية– وما يحمله من تحديات، بالإضافة إلى دراسته العميقة للفكر الغربي، وإيمانه بضرورة التزام التدرج في مباشرة عمله التجديدي، جعله يرسم لكل مرحلة أهدافها الخاصة، فكانت المرحلة الأولى، مرحلة البحث ومعرفة الغاية الرئيسة للمسلم، وتتجلى في التعمق في فهم حقيقة الإسلام، والتعمق في فهم فكر الحضارة الغربية، والتأهل العلمي المكين، واكتساب العقلية البرهانية الأصيلة.

ومن ثم مرحلة النقد والتمهيد لتكوين النواة التنظيمية عن طريق نقد الأفكار الغربية الحديثة في ضوء القرآن والسنة، وعرض مبادئ الإسلام، والتمهيد لتكوين جماعة إسلامية تكون بمثابة النواة التي تنظِّم الجهود، وتدعم أفكاره التجديدية.

واستنادًا إلى هذه المرحلة، فقد وسَّع فكرة المشروع التجديدي من العمل الفردي إلى العمل الجماعي، فعمل على تعميق الوعي بمفاهيم الإسلام، إعداد نواة قيادية، والتركيز على البناء المعنوي.

وأخيرًا مرحلة الاستقلال السياسي لباكستان التي ركزت على أسلمة دستور الدولة الباكستانية، والمطالبة بتطبيق الشريعة الإسلامية، والسعي في إصلاح المجتمع، وعلى الرغم من أن هدف تطبيق الشريعة لم يتم لأن التحديات كانت أكبر من جهوده وجهود جماعته، فإن هناك أهدافًا أخرى تخلَّلت هذه المراحل، تقوم على تجديد الدين وإحيائه، ومقاومة الحركات الهدَّامة والمذاهب الإلحادية، وإعداد النواة القيادية، ومحاربة الرذائل والآفات الاجتماعية، وتكوين رأي عام إسلامي موحد في الهند وباكستان.

أما عن مجالات التجديد الإسلامي عند المودودي فبيَّنَت المؤلفة أن التجديد عند المودودي دار في المجال العقدي، حول محور أساس وهام، يتمثل في فهم الإسلام فهمًا صحيحًا من منطلق وعي تصوره للوجود والله والإنسان، كذلك تجديد الفهم للأركان التي يقوم عليها في العقيدة الإيمانية –ابتداءً– حتى يستأنف الإسلام دوره الحضاري، وأيضًا تجديد الفهم لحقيقة المجتمع الذي يتمثل تلك الأركان عقيدة وسلوكًا، عارضًا لمعالم الدين الإسلامي من منطلق اقتناعه الذاتي الراسخ بأنه الدين القيم الذي ارتضاه الله لعباده فطرة وعقلًا، وهو الدين الوحيد الصالح لكل زمان

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

ومكان، حيث أثبت قابليَّته للتطبيق في الماضي، ويحظى بالقابلية نفسِها اليوم، وقد بُنِي ذلك الاقتناع على أساسين هامين: نقاء مصدره المتمثل في القرآن والسنة في عرضهما لأصول العقيدة، وواقعية التصور الإسلامي للوجود والله والإنسان ووظيفته الوجودية، وبناءً على هذا اجتهد في فهم وإدراك طبيعة الرسالة الإسلامية إدراكًا واعيًا بعيدًا عن مظاهر التأويل والمباحث الكلامية والفلسفية، التي انشغل بها العقل الإسلامي عبر القرون الماضية.

حيث بيَّن أن الإسلام يتميز بتأصيل منطقي للكون والحياة، وهو بذلك الإطار المرجعي الموجَّه الوحيد الذي يوسع تفكير الإنسان، وينقله من فكر المصادفات إلى فكر يعتمد على التعليل المنهجي والمنطقي، الذي يؤدي إلى اكتشاف العلاقات بين الظواهر والأشياء، ويوجد عقلية تستطيع الكشف عن سنن الله في الكون والحياة والإنسان، فهو الدين الوحيد الذي يتميز بسمة ترشيد مسيرة العقل الإنساني، ويجعله قادرًا على تجاوز الدلالات الجزئية للأشياء والظواهر والحياة، وربطها ببعضها لاكتشاف شبكة العلاقات والمحتوى الغائي لها.

كما اجتهد في المجال الثقافي والتربوي لإحداث نقلة نوعية في تفكير العقل المسلم –في شبه القارة الهندية– وقد كانت له إضافات متميزة أيضًا في الجانب السياسي، حيث نجده قد اجتهد في بعث مفاهيم الخلافة الراشدة على مستوى الحكم، وذلك باستحضار خطة النبوة والعهد الراشدي في صياغة معالم الحكم الإسلامي.

أما المجال الاقتصادي فقد كان موضع اهتمام وعناية من قبله، وذلك باعتباره ملموسًا وبارزًا في خارطة بناء كِيان الأمة وتحديد طاقاتها، فقد بيَّن أن الإسلام يؤمِّن نظامًا اقتصاديًّا يأمر بالاستفادة من الموارد التي سخَّرها الله للبشر بصورة معتدلة ومتوازنة، لا مجال فيها لطغيان المصلحة الفردية على المصلحة الجماعية كما هو الحال في المذهب الرأسمالي، أو طغيان المصلحة الجماعية على المصلحة الفردية كما هو الحال في الشيوعية، وأكَّد أن الإسلام ينظر إلى ثروة البشر على أنها وديعة من الله –المالك الحقيقي لها– ائتمن الناس عليها ليحققوا مقاصده بها، كما ركز في الجانب الاقتصادي أيضًا على الإصلاح الزراعي باعتبار شبه القارة الهندية منطقةً زراعيةً.

وفي الجانب الاجتماعي، طرق مجموعة من القضايا، وأزال اللبس عنها، كقضية الحجاب، وقضية تحرير المرأة الذي نادى به الغرب، وتعرض لقضية الزواج بغير المسلمات وبيَّن حقيقتها، بالإضافة إلى تصدِّيه لدعوى حركة تحديد النسل التي أُريد لها أن تكون شعبية ملزمة من قِبل

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

الدولة، وتطرق أيضًا، إلى قانون الأحوال الشخصية المستمد من الإسلام، فبيَّن التحريف الذي لحقه في العهد الاستعماري.

بين البابا والمودودي نموذج للحوار

في شهر ديسمبر (١٩٦٧م) تلقى السيد أبو الأعلى المودودي أمير الجماعة الإسلامية في باكستان آنذاك رسالة من بابا الفاتيكان بولس السادس يدعوه فيها إلى الاحتفال بأول يناير (١٩٦٨م) كعيد للسلام!! فرد عليه برسالة لم تكن مجرد تعبير عن الأماني الطيبة وإنما تضمنت تقييما موجزا للموقف، وتحليلا صريحا للمشكلة ومقترحات عملية لتحويل العداوة إلى تعاون صادق.

ذهب البابا في رسالته إلى (أن الأساس الموضوعي للسلام يتمثل في إيجاد روح جديدة تبعث التعايش بين الشعوب وتغرس نظرة جديدة للإنسان لأداء واجباته وتحقيق مصيره،..كما لابد من إعداد تربية الأجيال الجديدة وتعليمها الاحترام المتبادل بين الأمم والأخوة والتعاون بين الشعوب والأجناس) و (دعا الجميع إلى مساندة المنظمات الدولية وتدعيمها والتعريف بها بصورة أفضل وتكريمها وإحاطتها بالعناية والثقة وتزويدها بالسلطات والوسائل الملائمة لمهمتها)

وأطلق البابا تحذيره من أن (السلام لا يمكن أن يقوم على أساس من الكلمات البليغة التي تلقى ترحيبا لأنها تلبي الآمال الحقيقية للإنسانية ولكنها يمكن أن تساهم بكل أسف في طمس الروح الحقيقية والنوايا الصادقة للسلام)

ثم أكد أنه (لا يمكن للمرء أن يتحدث عن السلام بحق في الوقت الذي لا يوجد فيه اعتراف أو احترام لأركانه: من الإخلاص والعدل والحب والحرية) على مستوى الأفراد والعلاقة بين الحاكم والمحكوم والعلاقة بين المواطنين، والشعوب في كفة المجالات (المدنية والثقافية والخلقية والدينية).. (وإلا فلن يكون هناك سلام.. وإنما مزيد من العصيان والحرب التي لا يمكن قهرها بصورة نهائية)

ثم ختم البابا رسالته بأن (السلام ليس استسلاما ولا يتضمن في طياته تصورا وضيعا كسولا للحياة ولكنه يعلن عن أسمى قيم الحياة وأوسعها انتشارا في العالم وأعني بها: الحق والعدل والحرية والمحبة)

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

وقد رد السيد أبو الأعلى المودودي بالشكر الصادق على دعوته للسلام معتبرا إياه حجر الزاوية لتحقيق الرخاء والتقدم البشري مبديا أسفه لكون (الإنسانية لا تزال محرومة منه حتى اللحظة الراهنة، والسبب في ذلك ناجم عن العوامل التي ذكرت بعضها في رسالتك.. وإنني على يقين من أنه ما لم يتم اتخاذ إجراء ما بصورة صارمة، وبأسلوب ملموس لتصفية هذه العوامل فلن تستطيع الأماني الطيبة ومحض التعبير عن النوايا الحسنة والتعاون أن تقود الجنس البشري إلى غايات بعيدة.

إني أحس إحساسا عميقا أن أشد ما نحتاج إليه هو تفتيش قلوبنا بكل إخلاص وأمانة وصدق. إننا بحاجة إلى تحليل نفسي صريح من جانب الأفراد والجماعات ومجموعة الأمم وأعضاء الطوائف الدينية المختلفة، تحليل يهدف إلى أن يفهم هؤلاء عيوبهم ونقائصهم، ويكتشف كل منهم نصيبه المقصود أو العفوي ودوره في العوامل التي تشفي الإنسان، وكذلك نصيب كل منا، كل بمفرده في المثل الأعلى الذي نسعى لتحقيقه ونتطلع إليه لإقامة السلام الحقيقي، وليس ذلك فحسب، وإنما المطلوب أيضا هو أن يسعى كل واحد منا جاهدا في ضوء ما تقدم لإزالة تلك العوامل التي تعترض الطريق إلى السلام بكافة السبل الممكنة.

كذلك من واجب كل منا أن يعمل بقلب مفتوح وصراحة صادقة واتجاه للسلام لا لزيادة الأحقاد والنوايا الشريرة فيحاول مصارحة الرجال الخيرين المنتمين إلى الفئات والديانات الأخرى بالنواحي التي لا تعجبه بصورة مباشرة أو غير مباشرة من سلوكهم ومواقفهم، وذلك لكي يعمدوا إلى إصلاحها وإزالة أسباب الشقاق.

وبهذه الروح ذاتها أود أن ألفت انتباهكم إلى أمور معينة أنشأت الضغينة في صفوف المسلمين، وهي أمور تعتبر أساسا لشكواهم من إخوانهم النصارى، وسوف أبينها هنا لأنكم لكونكم أرفع منزلة في الكنيسة النصرانية تتمتعون به من التبجيل الكبير والاحترام والنفوذ العظيمين أن تصلحوا الموقف وأن تعملوا على إحداث تغيير إلى الأفضل في موقف النصارى وسلوكهم.

كما أود أن أضيف أنني أرحب وأدعو إخواننا النصارى أن يخبرونا بصراحة مماثلة بما يأخذون علينا من شكاوى ذات أسباب معقولة وتؤكد لهم أننا سنبذل قصارى جهدنا للقضاء عليها، ولن يتسنى لنا لعمر الحق أن نعمل على إقامة جو من السلام والمحبة والخير في العالم ما لم ينصف كل منا الطرف الآخر، وبهذه الطريقة يمكننا أن نتعاون معا على خدمة قضية السلام.

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

وأود أن أقول: إننا حتى ولو فشلنا في إظهار التسامح والكرم تجاه بعضنا البعض فإنه يمكننا على الأقل أن نكف عن التظالم وجرح مشاعر بعضنا البعض.

وأقترح أن أبسط أمامكم بأسلوب صريح لا لبس فيه تلك الجوانب من موقف إخواننا النصارى وتصرفاتهم التي تعتبر معادية ومسيئة إلى المقدسات في نظر المسلمين لا في نظر قلة أو فئات منهم فحسب، بل أستطيع أن أقول في نظر جميع المسلمين في العالم، وهذا هو سبب شكايتهم من العالم النصراني:

١- إن التهجمات الموجهة ضد النبي محمد -صلى الله عليه وسلم- وضد القرآن والإسلام بصفة عامة من قبل المفكرين النصارى في كتاباتهم واعتداءاتهم التي تستمر حتى الآن هذه التهجمات هي مصدر إساءة كبيرة للمسلمين، وقد تعمدت استخدام عبارة: «تهجم» و «اعتداء» حتى لا ينشأ سوء فهم بأننا نشكو من النقد المنصف والمجابهة المعقولة، فالمناقشات الأكاديمية التي تتخذ نهجا عقليا وتكون في حدود اللياقة لا يمكن بحال أن تسبب الاحتقار أو الضيق، فمثل هذه المناقشة لا تسيء إلينا حتى ولو تضمنت أقسى الاعتراضات، وليس ذلك فحسب بل إن المسلمين يرحبون بذلك، وإنهم على استعداد تام للمشاركة والإسهام في مثل هذه المناقشات.

إنه لمن دواعي سرورهم العظيم أن يواجهوا الحجج القائمة على أساس منطقي، ولكننا نشعر أننا على حق حين نستنكر تيار المهاجمة المقذعة الموجهة ضدنا بصورة لا ترتفع عن الأكاذيب والشتائم المبطنة بأسلوب عظيم الإثارة والإساءة، ولا تزال هذه الحملة الكلامية على أشدها،ومن الجدير بالذكر أننا نحن المسلمين نحترم كلا من مريم وعيسى - عليهما السلام - ونقدرهما أعظم تقدير، وهذا يشكل جزءا من عقيدتنا وكل كلمة تشم منها أدنى إساءة لهما تعتبر كفرا في ديننا، أي تجعلنا خارجين عن الإسلام وربما لا تستطيع أن تذكر مثالا واحدا يزعم أن أحد المسلمين قد وجه أدنى إساءة يمكن تصورها للنبي الكريم عيسى - عليه السلام - وأمه الصديقة - عليهما السلام -، ونحن بطبيعة الحال لا نؤمن بألوهية عيسى إلا أن إيماننا بنبوته لا يتزعزع كإيماننا بنبوة محمد عليهما الصلاة والسلام ولا يمكن لأي فرد أن يصبح مسلما بحق ما لم يؤمن بعيسى وبقية الأنبياء عليهم الصلاة والسلام إلى جانب إيمانه بمحمد -صلى الله عليه وسلم-.

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

كذلك فإننا نعتقد أن كلا من القرآن والتوراة والإنجيل كتب سماوية، نزلت من عند الله تعالى، ولا يمكن لأي مسلم أن يكن عدم الاحترام لهذه الكتب المقدسة، وإذا كانت هناك أية مناقشة لإنجيل في أوساطنا فقد كان ذلك من زاوية التأكد فيما إذا كان الإنجيل المتوفر في أيامنا هذه والمطبوع في كتب صحيحا ومعتمدا أم لا؟ وهل يحتفظ بالوحي كاملا كما نزل على الأنبياء؟ وهذه مشكلة تعرضت لنقاش عظيم حتى من قبل علماء النصارى أنفسهم، ولكن لم يحدث قط أن أنكر أحد من المسلمين أن كلمة الله قد نزلت على أنبياء من أمثال موسى وعيسى وبقية الرسل الوارد ذكرهم في الإنجيل، إلا أن المسلمين لا يسلمون أن الإنجيل الحالي يتضمن كلمة الله كاملة في صورتها الخالصة، ومع ذلك فإنهم يؤمنون أنه يشتمل على كلمة الله، والواقع أن إخواننا النصارى لم تسنح لهم أية فرصة للشكوى بأننا نتعرض لأنبيائهم أو لكتبهم المقدسة، على العكس من ذلك فقد دلت تجاربنا على أننا نتعرض باستمرار لصنوف التعذيب العقلي من قبلهم، ولا يزال هذا الوضع مستمرا منذ قرون، فالمستشرقون وغيرهم من الكتاب والمتحدثين النصارى لا يدعون فرصة تلوح لهم إلا وينفثون فيها سمومهم ضد نبينا وكتابنا المقدس وديننا، وهذا عامل مهم جدا من العوامل المسببة للتوتر في العلاقات بين الطائفتين العالميتين النصارى والمسلمين، فهذا يولد المرارة والبغضاء، كما أن هذه الدعاية الخبيثة تؤدي حتما إلى بث الاحتقار والضغينة ضد المسلمين في قلوب الجماهير النصرانية، فإذا أقنعتم أتباع الديانة المسيحية بتغيير موقفهم وتصرفاتهم بهذا الشأن بصورة لا تجعل النقد والمعارضة وسيلة للبغضاء والإثارة، وإذا نجحتم في ذلك فإنكم تقدمون خدمة جليلة لقضية السلام في العالم.

دور جمعيات التبشير النصرانية:

هناك أمر آخر يستدعي الاهتمام الفوري، ويتعلق بالأساليب التي تستخدمها جمعيات التبشير النصرانية والمبشرون النصارى لنشر ديانتهم في البلاد الإسلامية، فأسلوب العمل الذي يتبعه مبشرو الإنجيل هؤلاء شنيع للغاية، ويعتبر مصدرا من مصادر الشقاق والخلاف، وتتمثل شكوانا في أنهم لا يقصرون نشاطاتهم على نشر الدين فحسب، ولكنهم بدلا من ذلك يلجأون إلى أساليب وسبل لا مناص من اعتبارها وسائل للضغط السياسي والاستغلال الاقتصادي، والتخريب للأخلاق والدين، ويشهد على ذلك ما رأيناه بأم أعيننا وما يشاهد في بقية أنحاء العالم

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

الإسلامي، فلا يمكن لأي عقل مهما كان محدودا، ولا يليق بأي إنسان كريم أن يعتبر تلك الأساليب وسائل مباحة لنشر أي دين من الأديان.

فقد قام هؤلاء المبشرون في مناطق شاسعة من أفريقيا بحرمان المسلمين من كافة الخدمات التعليمية وذلك بالتواطؤ مع الدول الاستعمارية الغربية وتغافلها عن جرائمهم في الوقت الذي كانوا يسيطرون فيه على تلك المناطق.

فقد أوصدوا أبواب المعاهد التعليمية أمام كل شخص لا يدين بالنصرانية، أو على الأقل ليس لديه الاستعداد لتغيير اسمه الإسلامي واستبداله باسم نصراني، وبهذه الكيفية قويت شوكة الأقلية النصرانية وأصبحت الطبقة الحاكمة، وهذه الفئة المنبثقة القوية النفوذ هي التي تولت السلطات السياسية والعسكرية والاقتصادية بعد الاستقلال في كثير من الدول الأفريقية التي تعيش فيها أغلبية ساحقة من المسلمين، وهذا ظلم صارخ نزل بالمناطق الأفريقية التي تقطنها أغلبية من المسلمين.

وفي السودان استأثر المبشرون النصارى بجنوب السودان بمساعدة الاستعمار البريطاني، وأصبحت كافة حقوق نشر العلم الحديث امتيازا خاصا بالنصارى دون غيرهم، وفرضت على المسلمين قيود حتى في زيارة هذا الإقليم، لا لأغراض الدعوة ونشر دينهم فيه فحسب، بل لأي غرض كائنا ما كان.

لست أدري كيف يمكن اعتبار مثل هذه الإجراءات وسائل عادلة ومعقولة لنشر الدين؟!

وهنا في باكستان فإن التصرف المشترك بين كافة المستشفيات والمعاهد التربوية التبشيرية هو أنها تفرض رسوما باهظة على المرضى والطلاب المسلمين، وإذا اعتنق أحد من الفقراء النصرانية فإنه يزود بالتسهيلات الطبية والتربوية بلا مقابل أو برسوم رمزية وواضح أن هذا ليس تبشيرا دينيا، وإنما هو محاولة للعبث والعبث بالضمير الإنساني والعقيدة مقابل فتات تافهة.

وهناك جانب آخر من المشكلة عظيم الأهمية فالمؤسسات التعليمية للمبشرين تخرج طبقة جديد من الناس من الناس، طبق لا تتمسك بالنصرانية ولا تظل على دين الإسلام، وإنما تفصل نفسها عن تراثها ولا تطبق أي تراث أخلاقي آخر.

والنتيجة هي أن تصبح نموذجا غريبا، من الجنس البشري في مواقفها الأخلاقية ومعاييرها الثقافية وكذلك في أخلاقها وتصرفاتها وفي لغتها وعاداتها الاجتماعية وفي منهج حياتها كله، فمن

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

وجهة النظر الدينية الصرفية لا تظل هذه الفئة متمسكة بالإسلام كما لا تنجذب نحو المسيحية، وإنما تنساق بدلا من ذلك في أحضان العلمانية والإلحاد وانحلال الدين والخلق. فهل بوسع أي رجل عاقل أن يعتبر هذه النشاطات من قبل بعثات التبشير النصرانية خدمة للدين بأي وجه من الوجوه؟

وهذه هي الأسباب الحقيقية التي جعلت المسلمين ينظرون بريبة شديدة تجاه هذه البعثات، ويشعرون أنها لا تعمل في خدمة الدين وإنما تحيك مؤامرة ضد الإسلام والمجتمع المسلم، رجاء أن تولوا هذه الجوانب قدرا مناسبا من التفكير، وأن تبذلوا نفوذكم لإقناع الإرساليات التبشيرية بالكف عن هذه الأعمال التخريبية المكشوفة والمستورة.

إسرائيل خطر على السلام.

هناك شعور مشترك بين المسلمين تجاه العالم النصراني وهو أنه يكن عداوة شديدة ضد المسلمين، ومما يقوي هذا الشعور ما نلاحظه ونجربه في كل مكان تقريبا، وآخر تعبير له: ما حدث بمناسبة الحرب العربية الإسرائيلية عام (١٩٦٧م)، فقد فرح الناس في معظم أقطار أوربا وأميركا بانتصار إسرائيل مما ترك جرحا عميقا في قلوب المسلمين في العالم بأسره، وربما لا تجد مسلما واحدا إلا ويعتبر موجة الفرح والسرور الطافح التي غمرت أوربا وأميركا على إثر هزيمة المسلمين العرب مظهرا من مظاهر العداوة والبغضاء المتأصلين في أوساط العالم النصراني ضد المسلمين.

فقد زاد ذلك إساءة على إساءة خاصة إذا نظرنا إليه من زاوية تاريخية فقصة وجود إسرائيل بل إقحامها وفرضها علينا، لم تعد هذه القصة سرا، فقد ظلت فلسطين طوال الألفي عام الماضية موطنا للعرب، وفي السنوات الأولى من القرن الحالي [العشرين] كانت نسبة اليهود لا تزيد على ثمانية بالمائة من مجموع السكان وعلى الرغم من هذا قررت الحكومة البريطانية فرض الانتداب في فلسطين مما أكد هذه السياسة، ولم تكتف بذلك بل أصدرت إليها تعليمات بجعل الوكالة اليهودية شريكا في الحكم، وذلك لترجمة هذا الاقتراح إلى حقيقة واقعة. وسرعان ما بدأت حملة لحشد اليهود من كافة أرجاء المعمورة، واستقر هؤلاء المهاجرين في فلسطين بكل الوسائل الممكنة مما رفع نسبته إلى ٣٣% من مجموع السكان خلال ثلاثين عاما، وكان هذا ظلما صارخا، كانت نتيجته طرد سكان البلاط الحقيقيين، من أوطانهم وفرض أناس غرباء على البلاد وجعلها وطنا مفتعلا لهم.

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

ولم تنته الجريمة النكراء عند هذا الحد، بل ارتكب اعتداء آخر أشد ظلما وأكثر تعسفا، فأخذت أميركا تمارس ضغطا علنيا وعلى الأمم المتحدة حتى تقرر تحويل هذا الوطن اليهودي المصطنع إلى دولة يهودية، وبناء عليه أعطي السكان اليهود وهم ٣٣ % من مجموع السكان ٥٥% من مساحة فلسطين بينما أجبر ٦٧% من السكان على الانكماش في حدود ٤٥% من مساحة وطنهم إلا أن اليهود بما لديهم من العتاد الذي زودتهم به نفس الدول التي كانت تفرضهم على العرب فرضا لم يقنعوا بما قدم لهم، فلجأوا إلى القوة والإرهاب والضم التعسفي واستولوا على ٧٧% من مساحة البلاد، وافتعلوا جوا من السلب والنهب والقتل والإرهاب جعلوا الحياة فيه مستحيلة بالنسبة للعرب، واخذوا يشردون السكان حتى أجبروا أكثر من مليون عربي على ترك بيوتهم وأوطانهم.

هذه لعمرو الحق هي إسرائيل على حقيقتها وعلى ضوء هذه الحقائق التي لا محل للخلاف عليها هل يستطيع أي رجل منصف أمين أن يقول بأن إسرائيل دولة شرعية قامت بوسائل عادلة طبيعية؟ فالحق أن وجودها ذاته كان عملا عدوانيا شنيعا وعلى الرغم من هذا فلم يرض اليهود بالحدود التي فرضوها بالقوة، بل على العكس من ذلك فهم يعلنون على رءوس الأشهاد أن وطنهم القومي المزعوم يمتد من النيل إلى الفرات.

وبعبارة أخرى فإن هذا إعلان دائم عن مخططاتهم العدوانية لاحتلال المنطقة بأسرها بالقوة وطرد سكانها الأصليين من بيوتهم وجلب يهود من كافة أنحاء العالمي للاستيطان فيها، ولقد كان عدوان يونيو (١٩٦٧م) المفاجئ في الحقيقة جزءا من هذا المخطط العدواني ذاته ضمت إسرائيل على إثره منطقة مساحتها ٢٦٠٠٠ ميلا مربعا.

وليكن معلوما بعبارات واضحة أن المسلمين يعتقدون أن العالم النصراني هو المسئول عن إيقاع هذا الظلم، وهو السبب الحقيقي في هذا الجور والبغي، فالشعوب النصرانية هي التي أوجدت وطنا مصطنعا لشعب داخل وطن شعب آخر؟ والنصارى هم الذين حولوا هذا الوطن الزائف إلى دولة، ولم يكتفوا بذلك بل جعلوا المعتدي على درجة من القوة وزودوه بالمال والسلاح حتى ينفذ مخططاته التوسعية عن طريق القوة المجردة.

وهذا العالم النصراني نفسه هو الذي يعرب عن سعادته وفرحه العظيم بانتصار اليهود على المسلمين. فهل تعتقد بعد هذه التجربة المريرة أن أي عربي أو أي مسلم في أي مكان من العالم

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

يمكن أن يصدق التصريحات الكلامية المخلصة للعالم النصراني؟ وهل يمكن بحال أن يفكر في اعتبار النصارى أنصارا للعدل والإنصاف وتجسيدا للحب والإخلاص؟ ومن يا ترى يستطيع أن يعتبر النصارى شعوبا بعيدة عن مشاعر الحقد والتعصب الديني؟ وكيف يمكن للمسلمين أن يثقوا بهم بصورة من الصور؟ وهل لي أن أسأل: هل تعتقد أن السلام يمكن أن يقوم في العالم رغم هذا كله؟

حقا إن هذا ليس من واجبنا بل هو من واجبكم أن تجعلوا إخوانكم النصارى يحسون بوخز الضمير وتأنيبه على هذه السابقة الشنيعة، ويحاولون تصفية نفوسهم وتطهيرها من الشوائب والدنس؟

السيطرة الدولية على القدس؟

وبصدد الحديث عن إسرائيل لا أملك إلا أن أبين أن جنابكم قد ارتكبتم غلوا وتجاوزا للحد رغم أني أعتقد أن ذلك قد تم بحسن نية، فنيتكم الطيبة فوق مستوى الشك، ولكن يبدو أن قد فاتتكم جوانب معينة من القضية: إنني أشير هنا إلى اقتراحكم بوضع القدس القديمة تحت إشراف دولي، فربما جاء اقتراحكم هذا بقصد حماية المدينة المقدسة وحفظها من ويلات الحرب والنزاع والدمار ولكن الذي سيحدث يغاير ذلك مغايرة تامة: فإن ذلك سيفتح الباب لارتكاب مظلمة أخرى وبدء مأساة جديدة.

فمن الجلي الواضح أن الرقابة الدولية ستتم عن طريق المنظمة الدولية ذاتها التي جاءت بهذه الدويلة المصطنعة إلى حيز الوجود أعني إسرائيل والتي تعجز عن ردع أي عدوان ترتكبه إسرائيل أو إصلاح أي خطا تقترفه حتى هذه اللحظة، وبمجرد أن تنتقل هذه المدينة إلى أيدي الأمم المتحدة فإنها ستفتح أبوابها على مصراعيها لتوطين اليهود تماما كما حدث في ظل الانتداب الذي منحته عصبة الأمم للحكومة البريطانية، وسوف تبدأ موجة جديدة من الهجرة اليهودية إلى المدينة، وستتوفر للمستوطنين اليهود كافة التسهيلات للحصول على الأراضي والممتلكات وشرائها في القدس بالوسائل المشروعة وغير المشروعة، وهكذا سيحتل اليهود المدينة بأسرها ويتحكمون في مصيرها وهم لا يعرفون معنى الاحترام للأماكن المقدسة عند النصارى والمسلمين على السواء، وهذا ما سيفضي إليه الاقتراح في الحقيقة [هذا ما تم فعلا]

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

أرجو المعذرة على هذا الرد المطول جوابا على رسالتكم، كما أرجو عدم المؤاخذة للأسلوب الصريح المباشر الذي حاولت به مشاطرتكم أفكاري، فالواقع أنني اعتقدت أن من واجبي أن أبين لكم العقبات الحقيقية التي تعترض سبيل إقامة السلام، والتي يجدر إزالتها ومعالجتها بصورة ملموسة، وقد كنت صريحا في رسالتي وأتوقع ذلك من عطوفتكم.

مرة ثانية: أكرر أنه إذا كان هناك أي شيء من جانب العالم الإسلامي يمكن أن يكون عائقا في سبيل السلام فأرجو عدم التردد في بيانه لنا، وأعدكم أنني سأبذل ما لدي من تأثير في العالم الإسلامي لخدمة هذه القضية .

كما أنني على استعداد لأن ألفت أنظار بقية الزعماء في المجتمع الإسلامي تجاه هذه المشكلة، وان أدعوهم لبذل قصارى ما يستطيعون، لإزالة العوائق من الطريق المؤدي إلى السلام والمحبة).

لاهور

١٧ يناير ١٩٦٨ المخلص أبو الأعلى المودودي

نقلا عن مجلة الأزهر عدد شعبان ١٣٩٧ \ يوليو ١٩٧٧

من روائع أقواله

- إنه من الواجب أن تكون في قلوبكم نارٌ متقدةٌ تكون في ضرامها – على الأقل – مثل النار التي تتقد في قلب أحدكم عندما يجد ابناً له مريضاً ولا تدعه حتى تجره إلى الطبيب، أو عندما لا يجد في بيته شيئاً يسد به رمق حياة أولاده، ولا تزال تقلقه وتضطره إلى بذل الجهد والسعي.
- اسمحوا لي أن أقول لكم إنكم إذا خطوتم على طريق هذه الدعوة بعاطفة أبرد من تلك العاطفة القلبية التي تجدونها في قلوبكم نحو أزواجكم وأبنائكم وآبائكم وأمهاتكم فإنكم لا بد أن تبوءوا بالفشل الذريع، بفشل لا تتجرأ بعده أجيالنا القادمة على أن تتفكر في القيام بحركة مثل هذه إلى مدة غير وجيزة من الزمان، عليكم أن تستعرضوا قوتكم القلبية والأخلاقية قبل أن تهموا بالخطوات الكبيرة.

وانطفأ المصباح

في (غرة ذي القعدة ١٣٩٩هـ = ٢٢من سبتمبر ١٩٧٩م) انطفأت تلك الجذوة التي أضاءت الطريق إلى الرشد والهداية لكثير من المسلمين، ورحل المودودي عن عالمنا إلى رحاب ربه،

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

ولكنه بقي بأفكاره وتعاليمه ومؤلفاته الجليلة ليظل قدوة للدعاة على مر العصور، ونبعًا صافيًا من منابع الإسلام الصافي والعقيدة الخالصة.[٧]

---

[٧] أهم مصادر الدراسة:

- أبو الأعلى المودودي: حياته وفكره العقدي: حمد بن صادق الجمال دار المدني للطباعة والنشر والتوزيع جدة (١٤٠١ هـ = ١٩٨٦م).
- أبو الأعلى المودودي فكره ودعوته: د. سمير عبد الحميد إبراهيم دار الأنصار القاهرة: ١٣٩٩ هـ = ١٩٧٩م.
- أبو الأعلى المودودي والصحوة الإسلامية: د. محمد عمارة دار الشروق بالقاهرة: ١٤٠٧ هـ = ١٩٨٧م.
- النهضة الإسلامية في سير أعلامها المعاصرين: د. محمد رجب البيومي (الجزء الثالث) سلسلة البحوث الإسلامية: السنة ١٣ الكتاب الأول: مجمع البحوث الإسلامية القاهرة: (١٤٠٢ هـ = ١٩٨٢م).
- أبو الأعلى المودودي .. داعية فوق السحاب سمير حلبي
- الإمام أبو الأعلى المودودي محمد المجذوب بتصرف

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com